




البروق السلفية

ففي الدفاع عن نونية ابن
قيم الجوزية





البروق السلفية

في الدفاع عن نونية ابن قيم الجوزية
رد على كتاب السيف الصقيل للسبكي
وحاشيته للكوثري



تأليف

نواف بن علي الشمري

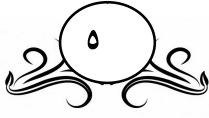
مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن
اتبع هداه، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب لعلي بن عبد الكافي السبكي اسمه السيف
الصقيل في الرد على ابن زفيل، يرد فيه على أبيات من نونية ابن القيم
رحمه الله الكافية الشافية يرد عليها ابن عبد الكافي من منطلق عقيدته
الأشعرية القبورية، وكان الذي أخرج هذا الكتاب ليحارب به الله
ورسوله محمد بن زاهد الكوثري الجركسي، ووضع له حاشية سماها:
تبديد الظلام المخيم على نونية ابن القيم؛ وبعد انتهائي من هذا الكتاب
وجمعي للملاحظات عليه قرأت نونية ابن القيم وتيقنت أنه:

لعمرى إن الظلام المخيم إنما هو على قلوب الحيارى لا على نونية
شيخ الإسلام الثاني فكتبت ردودا على ما سجلت من ملاحظات في
مقالات متفرقة ثم جمعتها في هذا الكتاب، ووفقني الله سبحانه وتعالى
فأتيت بنيانهم من القواعد وأخررت سقفهم عليهم، وبينت أن رد
الكوثري والسبكي إنما هو متوجه على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
أصالة إذ أن الشيخ رحمه الله لم يقرر في عامة قصيدته إلا ما أوحاه الله عزَّ
وجلَّ إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.



فأسأل الله أن يرحم الشيخ ويجزل مثوبته ويجمعه مع النبيين
والصديقين والشهداء.

كما أسأله سبحانه الكريم أن يتقبل مني هذا القربان الذي أقدمه بين
يديه ويجعله لي سترا من النار.

كتبه:

أبو عبد الرحمن نواف بن علي الشمري

Email: Nawwaf. aldfar@gmail. Com

Twitter : @Aldfar

٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ

محتوى الكتاب:

قدمت بين يدي الكتاب بترجمة مختصرة للإمام ابن القيم رحمه الله، ثم تراجم للرجلين، وأردفتها ببحث حول الأطوار التي مرت بها الديانة الأشعرية حتى زماننا.

ونظمت الكتاب على أربعة فصول كل فصل ضمته المقالات المتعلقة فيه، ثم ختمت الكتاب بملحق مهم ضمته تزياناً شافياً لمن أصيب بسمّ التعطيل ودلالة للعاني المتحير.

الفصل الأول: في صفات الله عز وجل.

- ١ - منبع الغواية.
- ٢ - الصفات السبع.
- ٣ - إرث التعطيل.
- ٤ - هل بقي إلا العدم؟
- ٥ - تخبّطهم في صفة الكلام.
- ٦ - مساجلة مع الرجلين فيما عطلاه من صفات الربّ سبحانه.
- ٧ - تسلسل الحوادث.

الفصل الثاني: في القدر والحكمة والتعليل.

- ١ - شيوخ المجبرة كأنهم همّ مستنفرة.

- ٢- هل ربنا عزَّ وجلَّ قادر على الظلم؟
- ٣- هل ربنا سبحانه حكيم عندهم؟
- ٤- تناقض المتهاوكون في تأثير الأسباب.

الفصل الثالث: في مسائل الإيمان.

- ١- إرجاء جهنم.
- ٢- إرجاء جهنم ٢.

الفصل الرابع: في مكانة الحديث النبوي وحملته عند الرجلين، ومعرفتهم فيه.

- ١- (الذين جعلوا القرآن عضين)
- ٢- إشكالات حديثية عند الرجلين.

الملحق.

- ١- باب ما جاء في الحث على التمسك بالأثر وأصحاب الأثر.
- ٢- باب ما جاء في ذم الكلام وأهله.
- ٣- عقيدة الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة.
- ٤- عقيدة الإمام الشافعي المطلبي.
- ٥- عقيدة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل.

ترجمة ابن القيم

هو: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زين الدين الزُّرعي ثم الدمشقي الحنبلي.

مولده:

ولد سنة إحدى وتسعون وستمئة.

قال ابن رجب: "سَمِعَ من الشهاب النابلسي العابر، والقاضي تقي الدين سُلَيْمَان، وفاطمة بنت جوهر، وعيسى المطعم، وأبي بكر بن عَبْد الدائم، وجماعة.

تفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين -ابن تيمية- وأخذ عنه. وتفنن في علوم الإسلام. وَكَانَ عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى. والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذَلِكَ، وبالفقه وأصوله وبالعبادة، وَلَهُ فِيهَا اليد الطولى.

وَكَانَ رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشفق بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذَلِكَ، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لَمْ أَر في معناه مثله" (١). اهـ

(١) ذيل طبقات الحنابلة ١٧٣/٥

قال الذهبي: "تفقه بشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية، وكان من عيون أصحابه. وأفقي، ودرس، وناظر، وصنف، وأفاد. وحدث عن شيخه التعبير (كأنها التفسير)، وغيره. ومصنفاته سائرة مشهورة" (١). اهـ

فكانت له ملازمة شديدة لشيخ الإسلام رحمه الله وقد أخبر في الكافية الشافية عن بركة هذه الملازمة وتأثيرها على نفسه، حيث قال لما كان يتكلم عن كتب أهل الباطل:

يا من يظن بأننا حفنا عليه	هم كتبهم تنبيك عن ذا الشأن
فانظر ترى لكن نرى لك تركها	حذرا عليك مصايد الشيطان
فشباكها والله لم يعلق بها	من ذي جناح قاصر الطيران
إلا رأيت الطير في قفص الردى	يبكي له نوح على الأغصان
ويظل يخبط طالبا لخلاصه	فيضيق عنه فرجة العيدان
والذنب ذنب الطير أحلى طيب الثم	رات في عال من الأفنان
وأتى إلى تلك المزابل يبتغي الفض	مات كالحشرات والديدان
يا قوم والله العظيم نصيحة	من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في	تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله	من ليس تجزيه يدي ولساني
حبر أتى من أرض حران فيا	أهلا بمن جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله	من جنة المأوى مع الرضوان

(١) العبر في خبر من غير (١/٣١١).

أخذت يدها يدي وسار فلم يرم
ورأيت أعلام المدينة حولها
ورأيت آثاراً عظيماً شأنها
ووردت رأس الماء أبيض صافياً
ورأيت أكواذاً هناك كثيرة
ورأيت حوض الكوثر الصافي الذي
ميزاب سته وقول إلهه
حتى أراني مطلع الإيمان
نزل الهدى وعساكر القرآن
محجوبة عن زمرة العميان
حصابؤه كلالئ التيجان
مثل النجوم لوارد ظمآن
لا زال يشخب فيه ميزابان
وهما مدى الأيام لا ينيان

حيث إن إمامنا رحمه الله كان على غير مذهب السلف الكرام حتى نهل من
بحر ابن تيمية فشفاه الله من أدواء البدع.

ومن مؤلفاته رضوان الله عليه:

- ١- زاد المعاد.
- ٢- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.
- ٣- روضة المحبين.
- ٤- الصواعق المرسلة.
- ٥- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية.
- ٦- الكافية الشافية.



محتته:

سُجِنَ رحمه الله عدة مرات على يد قضاة المعطلة وضُرب وطيف به.

قال ابن رجب رحمه الله: "وقد امتحن وأوفي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفردا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه مشغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير"^(١). اهـ

قال في الدرر الكامنة: "واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهيئ وطيف به على جمل مضروبا بالدرة، فلما مات أفرج عنه، وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، وكان ينال من علماء عصره وينالون منه. اهـ ويعني بعلماء عصره قضاة المعطلة والقبورية كالسبكي وابن جماعة وابن مخلوف".

وفاته:

توفي رحمه الله سنة إحدى وخمسون وستمئة.

قال ابن كثير: "وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله"^(٢). اهـ

(١) ذيل الطبقات (١٧٣/٥).

(٢) البداية والنهاية (٢٧٠/١٤).

ترجمة السبكي

هو: علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي الشافعي، والد التاج السبكي صاحب طبقات الشافعية.

ولد سنة ثلاث وثمانون وستمئة في سبك من أعمال المنوفية.

انتقل من سبك إلى القاهرة، قم إلى الشام وولي قضاء الشام سنة تسع وثلاثين وسبعمئة واعتل فعاد إلى القاهرة.

من مؤلفاته:

١- شفاء السقام في زيارة خير الأنام.

٢- مختصر طبقات الفقهاء.

٣- السيف الصقيل (وهو الكتاب الذي سنتناقش معه حوله).

وله مصنفات كثيرة، وسيعرف القارئ إن شاء الله بعد إتمام الكتاب حاله في العقيدة، ومن أراد الاطلاع على حاله في علم الحديث فليقرأ كتاب "الصارم المنكي" لابن عبدالمهدي رحمه الله، فقد بين أن الرجل يتجاري به هواه بين رواة الحديث وأسانيده -أقول هذا ولا أبالغ-.

أقول هذا الكلام لأن الكوثري ينفخ فيه نفخا عجيبا ويدعي أنه إمام في كل شيء فأحببت أن أبين للقارئ أنه ليس إماما في شيء، وأن الكوثري لا ينفخ إلا في نار يزيد لها اضطراما.

وفاته: توفي سنة ستة وخمسون وسبعمئة في مصر.

ترجمة الكوثري

هو: محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الجركسي الحنفي.

مولده:

ولد سنة ست وتسعون ومئتان وألف في الإستانة

وتنقل زمنًا بين مصر والشام، ثم استقر في القاهرة موظفًا في دار
المحفوظات لترجمة ما فيها من الوثائق التركية إلى العربية.

من مؤلفاته:

- ١- تحذير الخلف من مخازي أدياء السلف.
 - ٢- تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب.
 - ٣- محق القول في مسألة التوسل.
 - ٤- وتبديد الظلام (حاشيته على الكتاب الذي نحن بصدد نقاشه فيه).
- وقد عُرف الكوثري بحدته وقلة نزاهته مع أهل الحديث عموماً وقد ملأ
كتبه بأنواع النبز والشتائم واللعن لهم، حتى قال الشيخ شمس الدين الأفغاني
رحمه الله: "وجدته سيء الخلق مع مخالفيه، بذىء الكلام، طويل اللسان، سبّاباً
شتّاماً لعنا طعّاناً، ساقط الأدب كذاباً، صاحب دجل وتمويه وتلييس، قليل
الديانة، عديم الأمانة، صاحب خيانة وتدليس، ولقد تتبعته شتماته وسبابه لأئمة
الإسلام فتجاوز عددها الألف، وأنا كنت في بداية السير، فسئمت من تتبع مخازيه
فتركت، ولو جمعت كلها لكانت كمية كبيرة فيها عبرة للمعتبرين في مؤلف

ضخم، ولا أعرف له مثيلاً في التاريخ حتى في الشعراء الهاجيين، والمطربين
الماجنين، فلسانه كسف الحجاج غريق في الظلم والعدوان والسب"^(١). اهـ

وقال -رحمه الله- عن الكوثري: "قبوري محض على اصطلاح العرب
بريلوي على اصطلاحنا، أخل بتوحيد الألوهية تماماً.. جهمي بحت، ماتريدي
صلب، أخل بتوحيّد الأسماء والصفات.. عدو لدود للعقيدة السلفية عموماً
وحاملها وكتبها، ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية ومجدد
الدعوة السلفية محمد بن عبد الوهاب، التي يسميها أعداء الإسلام (الوهابية)!
فأشبعهم سباً وشتماً ولعناً"^(٢). اهـ

ورد عليه كثير من أهل العلم ذكرهم الشيخ شمس الدين السلفي رحمه الله
في مقدمته على كتاب إمام الكوثرية^(٣)، جزاهم الله خيراً، وكان كتابه -رحمه الله-
(إمام الكوثرية) من أقوى الردود التي عرّت أهواء الكوثري وبينت كوامنها.

(١) إمام الكوثرية ومناقضته لتوحيد الألوهية، ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣) ص ٤١.

أطوار الأشعرية

مرت الأشعرية منذ نشوئها في أطوار ثلاثة؛ كل طور يختلف عما بعده اختلافا كبيرا، حتى قد يصل الخلاف بين هذه الأطوار إلى تكفير كل طور مقالات انتحلها أصحاب الطور الآخر، وهذه الأطوار هي:

الطور الأول هو الطور الكلابي: وفيه يثبت الأشعرية الصفات الخبرية كالوجه واليد والقدم والعلو، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وَهَكَذَا نَقَلَ سَائِر النَّاسِ عَنْهُ حَتَّى الْمُتَأَخَّرُونَ كَالرَّازِيِّ وَالْأَمْدِيِّ يَنْقُلُونَ عَنْهُ إِبْطَاتِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَلَا يَحْكُونَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ. فَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَشْعَرِيَّ كَانَ يَنْفِيهَا وَأَنَّ لَهُ فِي تَأْوِيلِهَا قَوْلَيْنِ: فَقَدْ افْتَرَى عَلَيْهِ" ^(١). اهـ

وينفون الصفات الفعلية كالضحك والغضب والرضى والاستواء والنزول، قال شيخ الإسلام عن الكلابية: "قالوا الرب تقوم به الصفات، ولا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الصفات الاختيارية" ^(٢). اهـ

قال ابن فورك: "وكان -أي أبي الحسن الأشعري- ينكر قول من قال من أصحابنا: إن المحبة والرضا من الله تعالى فعل، وكذلك السخط والغضب، وهو الذي اختاره في هذا الباب، وهو مذهب عبدالله بن سعيد -أي ابن كلاب- ^(٣). اهـ

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٣/١٢).

(٢) المرجع السابق (٤٩/١٢).

(٣) مقالات الأشعري، ص ٤٦.

وأعلام هذا الطور هم: أبو الحسن الأشعري (الذي أخذه عن عبدالله بن سعيد بن كلاب)، والباقلاني، وابن فورك.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "فَالْأَشْعَرِيُّ وَالْبَاقِلَانِي وَقَدْ مَاؤُهُمْ يُشْتَوْنَهَا وَبَعْضُهُمْ يُقَرُّ بِبَعْضِهَا؛ وَفِيهِمْ تَجَهُّمٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ الْأَشْعَرِيَّ شَرِبَ كَلَامَ الْجَبَائِي شَيْخِ الْمُعْتَزَلَةِ وَنَسَبَتْهُ فِي الْكَلَامِ إِلَيْهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا عِنْدَ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ؛ وَابْنُ الْبَاقِلَانِي أَكْثَرَ إِثْبَاتًا بَعْدَ الْأَشْعَرِيِّ فِي "الإبَانَةِ" وَبَعْدَ ابْنِ الْبَاقِلَانِي ابْنُ فُورِكَ فَإِنَّهُ أَثْبَتَ بَعْضَ مَا فِي الْقُرْآنِ" (١). اهـ

وقال عن ابن كلاب: "وَهُوَ إِمَامُ الْأَشْعَرِيِّ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ" (٢). اهـ

والطور الثاني: هو النزوع إلى الاعتزال والتسليم لبعض كبار أصوله كمسألة (دليل حدوث الأجسام)، وفي هذا الطور ابتداء تأويل الصفات الخبرية ورد أحاديث الأحاد بأنها لا تفيد العلم.

وأعلامه: أبو المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين والشهرستاني والبغدادي قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وَ" أَمَّا الْجَوْنِي " وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَتَهُ: فَمَا لُوا إِلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزَلَةِ؛ فَإِنَّ أَبَا الْمُعَالِي كَانَ كَثِيرَ الْمُطَالَعَةِ لِكُتُبِ أَبِي هَاشِمٍ قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ بِالْآثَارِ فَأَثَّرَ فِيهِ مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ" (٣). اهـ

(١) مجموع الفتاوى (٥٢/٦).

(٢) المرجع السابق (٤٢٤/٥).

(٣) المرجع السابق (٥٢/٦).

وقال أثناء كلامه عن نفي الصفات الخبرية: "وَلَكِنْ هَذَا فِعْلٌ طَائِفَةٌ مِنْ مُتَأَخَّرِي أَصْحَابِهِ كَأَبِي الْمُعَالِي وَنَحْوِهِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَدْخَلُوا فِي مَذْهَبِهِ أَشْيَاءَ مِنْ أَصُولِ الْمُعْتَزَلَةِ"^(١). اهـ

والطور الثالث: هو الطور الفلسفي، قارب أصحاب هذا الطور من الفلاسفة وربما شرحوا بعض كتبهم ومزجوا في مصنفاتهم بين الفلسفة وعلم الكلام حتى صار لا يتميز أحدهما من الآخر وأعلامه: أبو حامد الغزالي، والرازي، والآمدي؛ ويتميز بالإعراض التام عن الكتاب والسنة، بل ووضع القواعد الكلامية التي خلاصتها الاستغناء عن الشرع في باب معرفة الله مثل: قانون التأويل للغزالي، والقانون الكلي للرازي، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وَالْغَزَالِيُّ فِي كَلَامِهِ مَادَّةٌ فُلْسُفِيَّةٌ كَبِيرَةٌ بِسَبَبِ كَلَامِ ابْنِ سِينَا فِي "الشفا" وَغَيْرِهِ؛" وَرَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا " وَكَلَامِ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ. وَأَمَّا الْمَادَّةُ الْمُعْتَزَلِيَّةُ فِي كَلَامِهِ فَقَلِيلَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ"^(٢). اهـ

وقد ضاق بعض الأشاعرة ذرعا من هذه الإدخالات الفلسفية مثل السنوسي صاحب شرح أم البراهين، فقال: وليحذر المبتدئ جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة، وأولع مؤلفوها بنقل هوسهم وما هو كفر صراح من عقائدهم، التي ستروا نجاستها بما ينبههم على كثير من اصطلاحاتهم وعبارتهم التي أكثرها أسماء بلا مسميات، وذلك ككتب الإمام الفخر الرازي في

(١) المرجع السابق (١٢/٢٠٣).

(٢) المرجع السابق (٥٤/٦).

علم الكلام، وطوالع البيضاوي، ومن حذا حذوهما في ذلك، وقل أن يفلح من أولع بصحبة الفلاسفة^(١). اهـ

ونهاية كل طور من هذه الأطوار الثلاثة كانت ممهدة للطور الذي بعده، فهذه هي البدع تبدأ باعاً ثم لا تلبث أن تصير أميالا وفراسخا كما قال شيخ الإسلام رحمه الله.

ويلاحظ أن الأشعرية تبنت التصوف الغالي في الشرك، ولعل كان هذا الشؤم من صنع يد الغزالي؛ وإلى اليوم لا تزال هذه الطائفة ترزح أقدامها في حمأة الشرك وتصانيفهم فيه تملأ نواحيهم.

ويقدر شيخ الإسلام رحمه الله أن سبب وقوع الشرك في المعطلة عموماً أنهم لما ظنت عقولهم خلوا إلههم من صفات الجمال والجلال بكما لها توجهت فطرهم إلى المخلوقات التي خلق الله فيها صفات جمال وجلال (ناقصة تليق بهم).

وقال ابن القيم رحمه الله: "ولهذا كلما كان الرجل أعظم تعطيلاً كان أعظم شركاً، ولا تجد معطلاً نافياً إلا وفيه من الشرك بقدر ما فيه من التعطيل"^(٢). اهـ

وقال: فلا ترى من عارض الوحي برأيه وجعله نداً له إلا مشركاً بالله قد اتخذ من دون الله أنداداً ولهذا كان مرض التعطيل ومرض الشرك أخوين متصاحبين لا ينفك أحدهما عن صاحبه فإن المعطل قد جعل آراء الرجال

(١) شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي، ص ١٠٣. لاحظ وصفه للرازي بالإمامة ووصفه لكتبه بأنها تحتوي على الكفر!

(٢) الصواعق المرسلة (١١١/٣).

وعقولهم ندا لكتاب الله والمشارك قد جعل ما يعبد من الأوثان ندا له ومما يبين تلازم التعطيل والشرك أن القلوب خلقت متحركة طالبة للتأله والمحبة فهي لا تسكن إلا بمحسوب تطمئن إليه وتسكن عنده يكون هو غاية محبوبها ومطلوبها ولا قرار لها ولا طمأنينة ولا سكون بدون هذا المطلوب والظفر به والوصول إليه ولو ظفرت بما ظفرت به سواه لم يزدها ذلك إلا فاقة وفقرا وحاجة وقلقا واضطرابا.

فطلب هذا المراد المطلوب كامن مستقر فيها وإن أعرضت عنه واشتغلت بغيره ولم تشعر به فوجود الشيء لا يستلزم الشعور به بل وجوده شيء والشعور به شيء وهذا الطلب والإرادة هو بحسب الشعور والمعرفة بالمطلوب المراد وصفات كماله ونعوت جلاله وجهاله فكيف إذا انضاف إلى ذلك معرفته بشدة الحاجة إليه والفاقة والضرورة وأنه لا حياة له في الحقيقة ولا فلاح ولا لذة ولا سرور ولا نعيم إلا بقربه والإنس به والتنعم بذكره وأن منزلة ذلك من الروح منزلة الروح من البدن فإذا فقدته الروح كانت كالبدن الفاقد لروحه بل القلب مضطر إليه فقير إليه أعظم من ضرورة البدن إلى روحه إذ غاية ما يقدر بفوات الروح موت البدن وقد يعقبه راحة العبد وأما إذا فات الروح والقلب هذا المطلوب المحبوب ماتت موتا يتضمن كل ألم وهم وغم وحزن وخوف واضطراب فلو أن ما يحصل للقلب من الموت مثل موت البدن لكان في الموت راحة ولكنه موت يتجرع صاحبه كاسات الآلام من الهموم والغموم والحسرات ﴿وَلَا يَكَاذُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وهذا أمر لا يصدق به إلا من باشر قلبه هذا وهذا وإذا كانت الروح

مفطورة على تأله فاطرها وخالقها وهي فقيرة إليه أعظم الافتقار من جهة كونه ربها وخالقها وممسكها وحافظها ومغذيها وطبيها ومداويها ومن جهة كونه إلهها ومحبوبها ومطلوبها وغاية مناهها فهي إلى معرفة هذا المطلوب ومعرفة كماله وجماله وأوصاف جلاله أشد شيء ضرورة وكلما كانت معرفتها بذلك أوفر كانت محبتها له أقوى مالم يعقها عائق ويمنعها مانع من مرض يتعطل به أو تضعف عن نهوضها بالجد في طلب هذا المحبوب.

وهذا العائق شيان إما جهل بهذا المطلوب وكونه لم يقدره حق قدره ولم تهتد من معرفة كماله وجماله وجلاله إلى ما يدعوها إلى طلبه وإيثاره على غيره وإما فساد في إرادتها لما تعلق بغيره وآثرته عليه ففسدت فطرتها التي فطرت عليها فانتقلت بفسادها عنه إلى غيره وهذه مقدمات فطرية ضرورية لا يناع فيهما سليم العقل والفطرة وإذا عرف هذا فالرسل جاءوا بكمال الأمرين على أتم الوجوه فإنهم ذكروا من صفات هذا الرب الذي تأله القلوب وتطمئن إليه الأرواح ما يكون داعيا إلى محبته وأمرؤا الناس من توحيد عبادته وحده لا شريك له بما إذا فعلوه أحبههم عليه فجاءت النفاة المعارضون للوحي بعقولهم وآرائهم فوقفوا في طريق الرسل وأتوا بما يضاد دعوتهم فنفوا صفاته التي تعرف بها إلى عباده وجعلوا إثباتها تجسيدا وتشبيها ووصفوه من السلوب والنفي بما حال بين القلوب وبين معرفته وأكدوا ذلك بأنه لا يحب ولا يحب ولا له وجه يراه العابدون المحبون له يوم القيامة فضلا عن أن يحصل لهم لذة هناك بالنظر إليه ولا يكلمهم ولا يخاطبهم ولا يسلم عليهم من فوقهم فلما استقر هذا النفي في قلوبهم تعلق بغيره من أصناف المحبوبات فأشركت به في المحبة ولا بد وكان أعظم الأسباب

الحاملة لها على الشرك هو التعطيل فانظر إلى تلازم الشرك والتعطيل وتصادقهما وكونهما:

رضيحي لبان ثدي أم تقاسما بأسمح داج عوض لا تتفرق

وقال أخونا الشيخ عبدالله الخليفى حاكيا أحوال الطورين الأخيرين: ثم جاء أبو المعالي الجوينى فاقترب بالقوم إلى المعتزلة فأنكر كل الصفات إلا سبعة مع اعترافه بأن من تقدمه يثبتون الوجه واليدين والعينين (ونقل نصه ابن تيمية في التسعينية).

وقد كان الجوينى يسفه من قول الأشعري في القدر ويقول أنه لا يرتضيه عاقل لنفسه (وقد نقل الزركشى نصه في البحر المحيط)، وسبب انفصاله إلى ذلك تأثره بمقالة الجبائين، مع قلة معرفته بالآثار.

وقد قال بأن المعول على العقل فقط في مسائل الأصول، وتبعه على ذلك ابن العربي والباجى غير أنه تناقض وقال بأن تنزيه الله عن النقائص معلوم من جهة السمع وسجل عليه هذا التناقض ابن العربي في قانون التأويل، ومثله تناقض متأخري الأشاعرة في إثباتهم السمع والبصر من جهة السمع إذ لا يوجد دليل عقلى على أصولهم يثبت هاتين الصفتين لذا اقترح القرضاوى عليهم موافقة المعتزلة في تأويلها بالعلم!

ثم ظهر الغزالي وأدخل المنطق على علم الكلام وأدخل القبورى والتصوف وسبب ذلك أنه نظر في كتب الفلاسفة، وقد كان تلميذه ابن العربي يذمه لذلك بل هجاه بقصيدة قاسية ذكرها ابن تيمية في التسعينية.

ثم ظهر الرازي وقال بأن الأدلة السمعية لا تفيد القطع بحال بل اشترط لذلك شروطاً لا تتوفر في نص فجئنا إلى طريقة طريقة المعتزلة أعظم توقيراً للنصوص منها، وأعظم السفسطة جداً في التشغيب على أهل الحق، واختار الانتصار لمذهبه بطريقة فلسفية محضة لا تمت بصلة للأخبار ولا حتى لأصول المتكلمين القدماء.

وعامة الأشاعرة المتأخرين كأمثال ابن دقيق العيد والنووي والسيوطي وابن حجر مائلون إلى طريقة الجويني والغزالي والرازي الذين هم غلاة الأشعرية وهم مفارقون لطريقة الباقلاني وابن فورك والأشعري نفسه مع ميل ابن حجر أحياناً لطريقة متقدمي الأشعرية".

يقصد أنهم على طريقة متأخري الأشعرية عموماً في نفي الصفات الخبرية.

ويظهر مما سبق أن الرجلين اللذين نحن بصدد السجال والاحتراب معهما قد انخرطا في سلك الأشعرية في طورها المعتزلي، ولهما في توحيد الإله نصيب السوء كما سنرى.

فصل

في صفات الله عز وجل

منبع الغواية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فإن منبع غواية هذه الفرقة وضلالها في باب الصفات هو اعتقادهم أن إثباتها مستلزم للتجسيم أو التشبيه، وهذه المغالطة الواضحة صريحة في كلامهم، وليس الأمر كما يظنه الكثير من أن مكن الخطأ عندهم هو اشتباه في النصوص الشرعية. كيف وقد وضعوا للنصوص الشرعية مآلات تفضي بها إلى اللاشيء أو إلى مصير اللاشيء! فإن رويناهم حديثاً فرداً؛ قالوا: هذا آحاد يفيد الظن ولا يفيد العلم!

قال الأشعري حسن السقاف: "اعلم رحمك الله أن العلماء الحفاظ المتقدمين نصوا على أن حديث الآحاد يفيد الظن، وأن الحديث المتواتر يفيد العلم"^(١). اهـ وإن جئناهم بمتواتر؛ قالوا: هذا ظاهره يخالف العقل فسبيله التأويل. قال الغزالي: "وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه التأويل ما ورد السمع به"^(٢). اهـ

(١) مقدمة تحقيقه للكتاب الأثيم: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي.
(٢) الاقتصاد، ص ١٧٩، ولكنه خالف أصحابه فقرر أن السمع لا يخالف العقل لأن ما كان ظاهره التشبيه - كما يزعم - فمصيره التأويل وبهذا لا يكون مخالفاً للعقل.

وإن لم يجدوا له محملاً يحملونه عليه طعنوا في رواته!

قال الغزالي: كل خبر مما يشير إلى إثبات صفة للباري تعالى يُشعر ظاهره بمستحيل في العقل، نُظِرَ: إن تطرق إليه التأويل قُبِلَ وأُوِّلَ، وإن لم يندرج فيه احتمالٌ تبين على القطع كذب الناقل^(١)! اهـ

وحتى الرازي عقد في تأسيسه^(٢) فصلاً قبيحا جدا جمع فيه ما لم يجمعه الرافضة في الطعن بالصحابة بقصد أن أعلى طبقات أهل الحديث حصل بينهم خلاف فكيف نقبل مروياتهم في الصفات!!

وهذا الرازي لو أعمل الشيء الذي رُكِّبَ في رأسه قليلا لعلم أن الحجة في كلامه راجعة عليه!!

إذ أن عامة الخلافات التي جرت بين الصحابة والتي نَقَلَ هو بعضها كانت في مسائل فقهية فرعية يخفى دليلها على البعض ويعرفه البعض الآخر، وليس فيها خلاف في الأسماء والصفات الذي هو باب نقاشنا فدل عدم نقل خلاف عنهم في هذا الباب أنهم كانوا مجمعين على ما جاء فيه؛ ((فعادت حجة الرازي عليه))!!

ومنهم من اختصر الطريق وأراح رأسه وصرح.

قال الإيجي في مواقفه: الدلائل النقلية هل تفيد اليقين؟

قيل: لا، لتوقفه على العلم بالوضع والإرادة. اهـ

(١) المنحول، ص ٢٨٦.

(٢) أساس التقديس، ص ١٦٩ وما بعدها.

قال الجرجاني شارحا الكلام السابق: إن القول بأن الأدلة النقلية لا تفيد اليقين هو مذهب المعتزلة ((وجهور الأشاعرة)). اهـ

وقول القائل الأدلة اللفظية التي جاء بها الرسول لا تفيدنا علما ولا يقينا من أعظم أنواع السفسطة وأكثر أسباب الزندقة وهؤلاء شر من اللاأدرية وشر من الباطنية^(١).

ولما ضاق عطن القوم بكثرة الأحاديث المخالفة لهم الآخذة بحلوقهم، اخترعوا خرافة الاثني عشر ألف حديث التي دسها الملاحدة في كتب المحدثين!!

قال الإمام الدارمي رحمه الله: "أَوْ لَيْسَ قَدْ ادَّعَيْتَ أَنَّ الزَّنادِقَةَ قَدْ وَضَعُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ دَلَّسُوهَا عَلَى الْمُحَدِّثِينَ؟، فَدُونَكَ أَيُّهَا النَّاقِدُ الْبَصِيرُ الْفَارِسُ النَّحْرِيرُ فَأَوْجَدَ مِنْهَا اثْنَيْ عَشَرَ حَدِيثًا، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَلِمَ تُهَجِّنُ الْعِلْمَ وَالِدِّينَ فِي أَعْيُنِ الْجُثَّالِ بِخُرَافَاتِكَ هَذِهِ؟؛ لِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّمَا هُوَ دِينُ اللَّهِ بَعْدَ الْقُرْآنِ، وَأَصْلُ كُلِّ فِقْهِ، فَمَنْ طَعَنَ فِيهِ فَإِنَّمَا يَطْعُنُ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى. أَوْ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَعَلَ الْحَدِيثَ أَصْلَ الْفَقْهِ؟؛ فَقَالَ: "نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ غَيْرُ فِقْهِهِ"، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْلَ الْفَقْهِ كُلَّهُ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْحَدِيثَ الَّذِي تَدْفَعُهُ أَنْتَ وَإِمَامُكَ الْمُرِيْسِيُّ"^(٢). اهـ

(١) الصواعق المرسلة (٢/٦٤٦).

(٢) نقض الدارمي

وقال الرازي الأشعري أثناء حديثه عن صاحبي الصحيحين: "غاية ما في الباب أننا نحسن الظن بهما وبالذين روي عنهم، إلا أننا إذا شاهدنا خبراً مشتملاً على منكر لا يمكن إسناده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قطعنا بأنه ((من أوضاع الملاحدة ومن ترويجاتهم على المحدثين!!))" (١). اهـ

وحتى القرآن لم يسلم من سياط تأويلاتهم وتحريفاتهم القبيحة فأنزلوه مع الحديث منزلة المتهم وأفعدوا العقل حاكماً عليهما وأوثقوهما بالقيود الثقيل وصوبوا عليهما عشرتهم ليس منها فكاك (٢)!!

قال ابن القيم رحمه الله: ونحن نناشد هؤلاء الجهمية بالله الذي لا إله إلا هو: هل يجدون في أنفسهم هذا التسليم والانقياد والتحكيم للنصوص؟ وهل هم مع الرسول وما جاء به بهذه المنزلة؟

فوالله إن قلوبهم وألسنتهم وكتبهم لتشهد عليهم بضد ذلك، كما يشهد به عليهم المؤمنون والملائكة وأولو العلم والله سبحانه وكفى بالله شهيداً (٣). اهـ

وابن القيم رحمه الله إذا ذكر الجهمية فهو يقصد الأشاعرة وهذا أمر لاحظ السبكي في كتابه الذي نحن وهو في سجال حوله؛ حيث قال: فكلما

(١) أساس التقديس، ص ١٧١.

(٢) وهي الشروط العشرة التي وضعها الرازي، والتي لا يمكن أن نستفيد يقيناً من الأدلة الشرعية حتى تجتاز هذه الشروط، ذكرها ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة (٢/٦٣٣).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/١٥٢١).

قال هذا الناظم عن جهم في هذه القصيدة فمراده الذي مذهبه مذهب الأشعري^(١). اهـ

فتبين مما سبق أن قول السبكي في سيفه الصقيل متحدثا عن فرقته الأشعرية: بَنَتْ أصولها ((على الكتاب والسنة)) والعقل الصحيح^(٢). اهـ

هو ضرب من ضروب السمادير^(٣).

هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد.

(١) السيف الصقيل، ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٣) السمادير: الأشياء التي تتراءى للإنسان في حالة السُّكْرِ.

الصفات السبع

رب يسر وأعن برحمتك يا كريم

سلك الأشاعرة في إثبات الصفات مسلك العقليات وأعرضوا عن السمعيات -نصوص الكتاب والسنة- إلا استثناسا إن وافقت مذهبهم -فيما يظنون- وردا وتأويلا لها إن خالفت مذهبهم فلا قيمة للنصوص عندهم.

قال السمعاني رحمه الله: أهل الأهواء إذا سمعوا شيئا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم؛ فإن استقام قلبوه وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه^(١). اهـ

فأثبت الأشاعرة لله تعالى سبع صفات وهي التي يسمونها صفات المعاني وهي: السمع والبصر والكلام والإرادة والحياة والقدرة والعلم، ونفوا بقية الصفات.

واحتجوا على باطلهم أن إثبات بقية الصفات يلزم منه التشبيه بالمخلوقات!! (ويرجع الأشاعرة بقية الصفات إلى صفة الإرادة، فالرحمة ينفون حقيقتها، ويقولون: هي إرادة الإنعام، والغضب: هو إرادة الانتقام. وهلم جرا!!).

فيقال لهم:

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٤).

١- إن الكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر يحتذى فيه حذوه، فإن كان إثبات باقي الصفات يلزم منه التشبيه بالمخلوقات، نقول: وكذلك يلزم مما أثبتتم التشبيه بالمخلوقات، فإن قلتم: إنما أثبتناها على ما يليق بالله، فنقول: ونحن ثبت كل ما أثبتته نصوص الكتاب والسنة من الصفات على ما يليق بالله سبحانه.

٢- فإن قالوا: العقل يقتضي ثبوت الصفات السبع فقط، يقال لهم: إن ما لم تثبته عقولكم قد أثبتته النصوص الشرعية، والاطمئنان إلى النصوص أكثر من الاطمئنان إلى مجرد العقل؛ والعقل إن لم يثبتها - كما زعمتم - فهو لم ينفها.

٣- ثم إننا يمكننا إثبات صفات غير السبع بنظر طريقتكم العقلية التي سلكتموها: فأنتم أثبتتم صفة القدرة بدليل عقلي.

٤- فنقول: إن إناعام الله على أوليائه يدل على صفة الإحسان، وعقاب الله لأعدائه يدل على صفة الانتقام، ونفع العباد يدل على صفة الرحمة.

إذن العقل يثبت الصفات ولا ينفها كما ادعت الأشاعرة.

٥- ثم إن كان العقل فعلا لا يمكنه إثبات الصفات غير التي أثبتوها فإنه أيضا لا ينفها!، فعدم وجود دليل عقلي معين على وجود الصفة لا يقتضي عدم وجود الصفة.

(لا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول).

٦- وجماعُ الكلام أن يقال: إن الله تعالى ووصف نفسه بصفات ووصف مخلوقاته بصفات؛ فوصف نفسه بالمحبة ووصف عباده بالمحبة فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾

وَيُحِبُّونَهُ ﴿٥﴾، وليست محبة الخالق كمحبة المخلوق، ووصف نفسه بالعلم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ووصف عبده بالعلم فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ وليس العلم كالعلم، ووصف نفسه بالاستواء فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ووصف عباده بالاستواء فقال: ﴿لِاسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ وليس الاستواء كالاستواء.

٧- فأهل السنة والجماعة أصحاب الطريقة السلفية يثبتون ظواهر النصوص وحقيقتها ويفوضون علم كیفيتها إلى الله سبحانه، كما قال الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء، قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

٨- فإن الله سبحانه أخبرنا أنه استوى فنؤمن بذلك، وإذا سئلنا عن الكيفية؟ نقول: أخبرنا الله بأنه استوى ولم يخبرنا كيف استوى.

وهذه القاعدة مطردة في جميع الصفات مثل: الضحك والغضب والرضى واليدين والنزول والمجيء والقدمين.. إلخ

والتشابه الذي يقع بين أسماء الله وصفاته وأسماء بعض مخلوقاته وصفاتهم يكون في الاسم والمعنى وهذا شيء اعترف به الآمدي (في جزئية) ولكن لم يطرد اعترافه تحكما منه، فقال: ولا يلزم من كون القديم ماثلا للحوادث من جهة أن يكون ماثلا للحدوث من جهة كونه حادثا بل لا مانع من الاختلاف بينهما في صفة القدم والحدوث وإنما تماثلا بأمر آخر وهذا كالسواد والبياض يختلفان من وجه دون وجه لاستحالة اختلافهما من كل وجه وإلا لما اشتركا في العرضية والكونية

والحدوث واستحالة تماثلها من كل وجه وإلا كان السواد بياضا ومع ذلك فما لزم من مماثلة السواد للبياض من وجه أن يكون مماثلا له في صفة البياضية. اهـ

فقال ابن القيم رحمه الله معلقا: "فيقال يا الله العجب هلا طردتم هذا الجواب وسلكتم هذا الطريق في إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه وإثبات صفات كماله كلها وإثبات الصفات الخيرية كلها وأجبتكم بهذا الجواب لمن قال لكم من المعطلة النفاة لو كان له صفات لزم مماثلته للمخلوقات وهلا تقنعون من أهل السنة المثبتين لصفات كماله ونعوت جلاله وعلوه على مخلوقاته واستوائه على عرشه بمثل هذا الجواب الذي أجبتكم به من أنكر حدوث العالم بل إذا أجابوكم به قلبتم لهم ظهر المجن وصرحتم بتكفيرهم وتبديعهم وإذا أجبتكم أنتم به بعينه كنتم موحدين ناصرين لله ورسوله" (١). اهـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا" (٢). اهـ

وليعلم أن طريقة الاشاعرة في تأويل نصوص الشريعة في باب توحيد الله تعالى وذكر أسمائه وصفاته هي بعينها الطريق التي سلكها الملاحدة في تأويل نصوص المعاد بل وباقي الشرائع، قال ابن القيم رحمه الله: "إن الطريقة التي سلكها نفاة الصفات والعلو والتكليم من معارضة النصوص الإلهية بأرائهم وما يسمونه معقولا هي بعينها الطريقة التي سلكها إخوانهم من الملاحدة في معارضة نصوص المعاد بأرائهم وعقولهم ومقدماتهم ثم نقلوها بعينها إلى ما أمروا به من

(١) الصواعق المرسلة (٤/١٣٢١).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٢٨).

الأعمال كالصلوات الخمس والزكاة والحج والصيام فجعلوها للامة دون الخاصة فآل بهم الأمر إلى أن أُلحدوا في الأصول الثلاثة التي اتفق عليها جميع الملل وجاءت بها جميع الرسل وهي الإيمان بالله واليوم الآخر والأعمال الصالحة قال الله تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (١). اهـ

قال الفيلسوف الملحد في آيات الله ابن سينا: ثم من المعلوم الواضح أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد من الإقرار بالصانع موحدًا مقدسًا عن الكم والكيف والأين والمتى والوضع والتغير حتى يصير الاعتقاد به أنه ذات واحدة لا يمكن أن يكون لها شريك في النوع أو يكون لها جزء وجودي كمي أو معنوي ولا يمكن أن تكون خارجة عن العالم ولا داخله فيه ولا حيث تصح الإشارة إليه بأنه هنا أو هناك ممتنع إلقاؤه إلى الجمهور ولو ألقى هذا على هذه الصورة إلى العرب العاربة أو العبرانيين الأجلاف لسارعوا إلى العناد واتفقوا على أن الإيمان المدعو إليه إيمان بمعدوم لا وجود له أصلاً ولهذا ورد ما في التوراة تشبيهاً كله ثم أنه لم يرد في الفرقان من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء ولا أتى بصريح ما يحتاج إليه في التوحيد بيان مفصل بل أتى بعضه على سبيل التشبيه في الظاهر وبعضه جاء تنزيهاً مطلقاً عاماً جداً لا تخصيص ولا تفسير له.

وأما الأخبار التشبيهية فأكثر من أن تحصى ولكن لقوم أن لا يقبلوه فإذا كان الأمر في التوحيد هكذا فكيف بما هو بعده من الأمور الاعتقادية وبعض الناس أن

(١) الصواعق المرسلة (٣/١٠٩٦).

يقولوا إن للعرب توسعا في الكلام ومجازا وإن الألفاظ التشبيهية مثل الوجه واليد والإتيان في ظلل من الغمام والمجيء والذهاب والضحك والحياء والغضب صحيحة ولكن هي مستعملة استعارة ومجازا قال ويدل على استعمالها غير مجازية ولا مستعارة بل محققة أن المواضع التي يوردونها حجة في أن العرب تستعمل هذه المعاني بالاستعارات والمجاز على غير معانيها الظاهرة مواضع في مثلها يصلح أن تستعمل على غير هذا الوجه ولا يقع فيها تلبس ولا تدليس... ثم هب أن هذه كلها موجودة على الاستعارة فأين التوحيد والعبارة المشيرة بالتصريح إلى التوحيد المحض الذي تدعو إليه حقيقة هذا الدين المعترف بجلالته على لسان حكماء العالم قاطبة ثم قال في ضمن كلامه إن الشريعة الجاثية على لسان نبينا جاء تأفضل ما يمكن ان تحيي عليه الشرائع وأكملها.

ولهذا صلحت أن تكون خاتمة للشرائع وآخر الملل قال وأين الإشارة إلى الدقيق من المعاني المشيرة إلى علم التوحيد مثل إنه عالم بالذات أو عالم بعلم قادر بالذات أو قادر بقدرة واحد بالذات على كثرة الأوصاف أو قابل للكثرة تعالى عنها بوجه من الوجوه متحيز بالذات أو منزّه عن الجهات فإنه لا يخلو إما أن تكون هذه المعاني واجبا لتحقيقها وإتقان المذهب الحق فيها أو يسع لعمرى لو كلف الله رسولا من الرسل أن يلقي حقائق هذه الأمور إلى الجمهور من العامة الغليظة طباعهم المتعلقة بالمحسوسات الصرفة أو هامهم ثم سامه أن يتنجز منهم الإيثار والإجابة غير متمهل فيه وسامه أن يتولى رياضة نفوس الناس قاطبة حتى يستعد الوقوف عليها لكلفه شططا وأن يفعل ما ليس في قوة البشر.

اللهم إلا أن تدركه خاصة إلهية وقوة علوية وإلهام سماوي فتكون حينئذ وساطة الرسول مستغنى عنها وتبلغه غير محتاج إليه.

ثم ألزمهم بلازم آخذ بأشداقهم، فقال: ثم هب أن الكتاب العربي جاء على لغة العرب وعبارة لسانهم في الاستعارة والمجاز فما قولهم في الكتاب العبراني وكله من أوله إلى آخره تشبيه صرف؟!؟

وليس لقائل أن يقول إن ذلك الكتاب محرف كله وأنى يحرف كلية كتاب منتشر في أمم لا يطاق تعديدهم وبلادهم متباينة وأوامهم متباينة منهم يهودي ونصراني وهم أمتان متعاديتان^(١). اهـ

لست أتكثر بملحد!..!

ولكن أليس من المعيب أن ظهر له من حقائق الشريعة ما لم يظهر لكم؟.. هو وإن لم يكن اتخذها نبراسا يقوده إلى الجنة فقد كان بها أحظى منكم.. ولكن خانه التوفيق

فهل تجدون لكم من هذه اللوازم موثلاً أو محيصاً؟

(١) نقله ابن القيم في الصواعق المرسلة (٣/١٠٩٧-١١٠٤)، وأحال المحقق في الحاشية إلى كتاب الرسالة الأضحوية لابن سينا.

إرث التعطيل

رب يسر وأعن برحمتك يا كريم

قال الكوثري في حاشيته على السيف الصقيل: "اتفقت فرق المسلمين سوى الكرامية وصنوف المجسمة على أن الله سبحانه منزّه عن أن تقوم به الحوادث وأن تحل به الحوادث.." ^(١) اهـ.

وقال: "ونسجل هنا على الناظم اعتقاده قيام الحوادث بذات الله سبحانه وتعالى، واعتقاده أن هذه الحوادث لا أول لها" ^(٢) اهـ.

أقول: نفي قيام الحوادث الذي تعتقده الأشاعرة معناه: نفي قيام الأفعال الاختيارية عن الله تعالى كالغضب والرضى والضحك والنزول والصعود، وانتحلهم هذه العقيدة الفاسدة مبني على قاعدة (الاستدلال على حدوث العالم بحلول الحوادث) ومعناها: أن كل شيء قامت به الحوادث (الأفعال) فهو مخلوق، وبما أن الكون تحل به الحوادث إذا الكون مخلوق، وبما أن الحوادث لا تحل إلا بمخلوق إذا الله لا تحل به ^(٣).

(١) السيف الصقيل، ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٥، وانظر كلام السبكي ص ٣٥.

(٣) انظر: النبوات (١/٥٦٠).

هكذا اختُرِعَت المقدمات ثم قُفِرَ منها إلى النتائج دون وجود أدلة عليه أصلاً!!

هذه العقيدة الفائلة ورثوها من الكلابية وورثها ابن كلاب من الجهم بن صفوان وكان سبب اختراع الجهم لها هو قلَّت علمه وبالتالي عدم سلوكه للطرق الشرعية بالاستدلال أثناء مناظرته للسمنية.

قال الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى: "قال الإمام أحمد رحمه الله وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرا كثيرا.

فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تعالى، فلقي أناسا من المشركين يقال لهم السمنية فعرفوا الجهم، فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: أأنت تزعم أن لك إلها؟ قال الجهم: نعم، فقالوا له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا، قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا، قالوا: فشمت له رائحة؟ قال: لا، قالوا: فوجدت له حسا؟ قال: لا، قالوا: فوجدت له مجسا؟ قال: لا، قالوا: فما يدريك أنه إله؟ قال فتحير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوما، ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله فإذا أراد أن يحدث أمرا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء وهو روح غائبة عن الأبصار.

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة فقال للسمني: ألسنت تزعم أن فيك روحاً؟ قال: نعم، فقال هل رأيت روحك؟ قال: لا، قال: فسمعت كلامه؟، قال: لا، قال: فوجدت له حساً أو مجساً؟ قال: لا، قال: فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان. ووجد ثلاث آيات من التشابه قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فبنى أصل كلامه على هذه الآيات وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافراً وكان من المشبهة فأضل بكلامه بشراً كثيراً^(١). اهـ

وفي صريح القرآن أي كثير يرد عليهم قولهم، ويدخل في ذلك: عامة ما أخبر الله به من أفعاله، لا سيما المرتبة، كقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٥)، وقوله: ﴿فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيَسْرَى﴾ (٧)، وقوله: ﴿فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (١٠)، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)، وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْفَعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨)، ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ (١٩)، وقوله: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦)، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ (٢٦)، وقوله: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) ﴿٢﴾.

(١) الرد على الزنادقة والجهمية

(٢) الدرر السنية (١٩١/٣).

وكذلك كل حديث جاء على هذا النسق من ترتيب الأفعال، كقوله صلى الله عليه وسلم: يضحك ربنا.

وقوله: عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وأصله في ذلك مسألة الصفات الاختيارية ونحوها من الأمور المتعلقة بمشيئته وقدرته تعالى: هل تقوم بذاته أم لا؟ فكان السلف والأئمة يثبتون ما يقوم بذاته من الصفات والأفعال مطلقا والجهمية من المعتزلة وغيرهم ينكرون ذلك مطلقا فوافق ابن كلاب السلف والأئمة في إثبات الصفات، ووافق الجهمية في نفي قيام الأفعال به تعالى وما يتعلق بمشيئته وقدرته. ولهذا وغيره تكلم الناس فيمن اتبعه كالقلانسي والأشعري ونحوهما بأن في أقوالهم بقايا من الاعتزال، وهذه البقايا أصلها هو الاستدلال على حدوث العالم بطريقة الحركات فإن هذا الأصل هو الذي أوقع المعتزلة في نفي الصفات والأفعال" (١). اهـ

وقال رحمه الله: "وقد عارض بعضهم الرازي فيما ذكره من أن هذه المسألة تلزم عامة الطوائف فقال المراد بالحادث بالموجود الذي وجد بعد العدم ذاتا كان أو صفة أما ما لا يوصف بالوجود كالأعدام المتجددة والأحوال عند من يقول بها والإضافات عند من لا يقول إنها وجودية فلا يصدق عليها اسم الحادث وإن صدق عليها اسم المتجدد فلا يلزم من تجدد الإضافات والأحوال في ذات الباري أن تكون محلا للحوادث قال وما قاله الامام يعني الرازي في هذا المقام إن أكثر

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٨٣).

العقلاء قالوا به وإن أنكروه باللسان وبينه بصور فليس كذلك لن أكثر ما ذكر من تلك الأمور فإنها هي متجددة لا محدثة والمتجدد أعم من الحادث فلا يلزم من وجود العام وجود الخاص.

قلت ولقائل أن يقول هذا ضعيف من وجوه:

أحدها: أن الدليل الذي استدلوا به على نفي الحوادث ينفي المتجددات أيضا كقولهم اما ان يكون كمالا او نقصا وقولهم لو حصل ذلك للزم التغير وقولهم اما ان تكون ذاته كافية فيه او لا تكون وقولهم كونه قابلا له في الأزل يستلزم امكان ثبوته في الازل فانه لا يمكن ان يحصل في الأزل لا متجدد ولا حادث ولا يوصف الله بصفة نقص سواء كان متجددا او حادثا وكذلك التغير لا فرق بين ان يكون بحادث او متجدد فإن قالوا تجدد المتجددات ليس تغيرا قال اولئك وحدوث الحركات الحادثة ليس تغيرا فإن قالوا بل هذا يسمى تغيرا منعهوهم الفرق وان سلموه كان النزاع لفظيا واذا كان استدلالهم ينفي القسمين لزم إما فسادهم وإما النقض.

الوجه الثاني: أن يقال تسمية هذا متجددا وهذا حادثا فرق لفظي لا معنوي ولا ريب أن أهل السنة والحديث لا يطلقون عليه سبحانه وتعالى أنه محل الحوادث ولا محل الأعراض ونحو ذلك من الألفاظ المبتدعة التي يفهم منها معنى باطل فإن الناس يفهمون من هذا أن يحدث في ذاته ما يسمونه هم حادثا كالعيوب والآفات والله منزّه عن ذلك سبحانه وتعالى واذا قيل فلان ولي على الاحداث او تنازع اهل القبلة في أهل الأحداث فالمراد بذلك الأفعال المحرمة كالزنا والسرقة وشرب الخمر وقطع الطريق والله أجل واعظم من ان يخطر

بقلوب المؤمنين قيام القبائح به والمقصود أن تفرقة المفرق بين المتجدد والحادث
امر لفظي لا معنى عقلي ولا عكسه عاكس فسمي هذا متجددا وهذا حادثا لكان
كلامه من جنس كلامه.

الوجه الثالث: إن دعوى المدعي أن الجمهور إنما يلزمهم تجدد الإضافات
والأحوال والإعدام لا تجدد الحادث الذي وجد بعد العدم ذاتا كان أو صفة دعوى
ممنوعة لم يقم عليها دليلا ، بل الدليل يدل على أن أولئك الطوائف يلزمهم قيام أمور
وجودية حادثة بذاته ، مثال ذلك أنه سبحانه وتعالى يسمع ويرى ما يخلق من
الأصوات والمرئيات وقد أخبر القرآن بحدوث ذلك في مثل قوله ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا
فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة: ١٠٥] وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس: ١٤] وقد أخبر
بسمعه ورؤيته في مواضع كثيرة ، كقوله لموسى وهارون ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ
وَأَرَى ﴾ [سورة طه: ٤٦] وقوله ﴿ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [٣١٨] وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدِينَ ﴾ [٣١٩]
[سورة الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] وقوله ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ
أَغْنِيَاءُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨١] ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
... ﴾ [المجادلة: ١]، فيقال لهؤلاء : أنتم معترفون وسائر العقلاء بما هو معلوم بصريح
العقل أن المعدوم لا يرى موجودا قبل وجوده فإذا وجد فرآه موجودا وسمع كلامه
فهل حصل أمر وجودي لم يكن قبل أو لم يحصل شيء ؟ ، فإن قيل : لم يحصل أمر
وجودي وكان قبل أن يخلق لا يراه فيكون بعد خلقه لا يراه أيضا ، وإن قيل : حصل
أمر وجودي ، فذلك الوجودي إما أن يقوم بذات الرب وإما أن يقوم بغيره ، فإن قام
بغيره لزم أن يكون غير الله هو الذي رآه ، وإن قام بذاته علم انه قام به رؤية ذلك

الموجود الذي وجد كما قال تعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٥] وما سموه إضافات وأحوالا وتعلقات وغير ذلك يقال لهم : هذه أمور موجودة أو ليست موجودة ؟، فإن لم تكن موجودة فلا فرق بين حاله قبل أن يرى ويسمع وبعد أن يرى ويسمع ، فإن العدم المستمر لا يوجب كونه صار رائيا سامعا وإن قلتم : بل هي أمور وجودية ؛ فقد أقررتم بأن رؤية الشيء المعين لم تكن حاصلة ثم صارت حاصلة بذاته وهي أمر وجودي ^(١) . اهـ

قال الخلال في السنة: ١٨٨٥ - أخبرني عبد الكريم بن الهيثم العاقولي، أن الحسن بن الصباح حدثهم، أن أبا عبد الله قيل له: أن لوينا قال: أول ما خلق الله عز وجل القلم فأول الخلق القلم وكلام الله قبل الخلق القلم فاستحسنه أبو عبد الله وقال: أبلغ منهم بما حدث.

١٨٨٧ - وأخبرني عبد الله في موضع آخر؛ قال: قلت لأبي: إن لوينا محمد بن سليمان الأسدي يقول: أول ما خلق الله القلم، والله عز وجل لم يزل متكلماً قبل أن يخلق الخلق فأعجبه هذا واستحسنه.

قلت: يعني أن الله لم يزل متكلماً (فاعلا لأن الكلام فعل).

وقال الإمام الدارمي رحمه الله: "لِأَنَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ، وَيَهْبِطُ وَيَرْتَفِعُ إِذَا شَاءَ، وَيَقْبُضُ وَيَبْسُطُ وَيَقُومُ وَيَجْلِسُ إِذَا شَاءَ؛ لِأَنَّ أَمَارَةَ مَا بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ التَّحَرُّكُ. كُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ لَا مَحَالَةَ. وَكُلُّ مَيِّتٍ غَيْرٌ مُتَحَرِّكٌ لَا مَحَالَةَ" ^(٢) . اهـ

(١) المرجع السابق (٢/٢٣٧-٢٤١).

(٢) نقض عثمان بن سعيد

وأما ادعاء الكوثري اتفاق فرق المسلمين على هذه العقيدة الإلحادية فلا يزيد من صحة كلامه شيئاً إذ أنه لم يتفق إلا مع الجهمية وفروعها الذي هو يتنسب إلى أحدها، قال ابن تيمية رحمه الله واصفاً حال هذا الاتفاق بينهم: "... طوائف أهل البدع من أهل الكلام وغيرهم ليس فيهم من يوافق الرسول في أصول دينه لا فيما اشتركوا فيه ولا فيما انفرد به بعضهم. فإنهم وإن اشتركوا في مقالات فليس إجماعهم حجة، ولا هم معصومون من الاجتماع على خطأ.

وقد زعم طائفة أن إجماع المتكلمين في المسائل الكلامية كإجماع الفقهاء. وهذا غلط، بل السلف قد استفاض عنهم ذم المتكلمين، وذم أهل الكلام مطلقاً^(١). اهـ
وقال: "وأصل كلامهم العقلي باطل، والإجماع الذي يظنونه إنما هو إجماعهم، وإجماع نظرائهم من أهل الكلام، ليس هو إجماع أمة محمد، ولا علمائها.

والله تعالى إنما جعل العصمة للمؤمنين من أمة محمد؛ فهم الذين لا يجتمعون على ضلالة ولا خطأ؛ كما ذكر على ذلك الدلائل الكثيرة. وكل ما اجتمعوا عليه فهو مأثور عن الرسول؛ فإن الرسول بين الدين كله، وهم معصومون أن يُخطئوا، كلهم، ويضلُّوا عما جاء به محمد... فإجماعهم هو على علم موروث عن الرسول، جاء من عند الله، وذلك لا يكون إلا حقاً.

وأما من كان إجماعهم على ما ابتدعه رأس من رؤوسهم؛ فيجوز أن يكون إجماعهم خطأ؛ إذ ليسوا هم المؤمنين، ولا أمة محمد، وإنما هم فرقة منهم"^(٢). اهـ

(١) النبوات (١/٥٥٩).

(٢) المرجع السابق (١/٥٦٥).

فليس في الشريعة إجماع بُني على علم الكلام وما كان من بابه!! بل الإجماعات في الإسلام تبنى على الكتاب والسنة وما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم وما اتفقت عليه علماء الأمة.

وها هنا اعتراف نسجله على الجويني أبي المعالي حيث أنه يصرح أن تنزيه الله عن النقائص ليس عليه دليل عقلي!!

حيث قال: "فإن قيل: من أركان دليلكم استحالة اتصاف الباري تعالى بالآفات المضادة للسمع والبصر، فما الدليل على ذلك؟، قلنا: هذا مما كثر فيه كلام المتكلمين، ولا نرتضي مما ذكره في هذا المدخل (إلا الالتجاء إلى السمع، إذ قد أجمعت الأئمة وكل من آمن بالله تعالى على تقدس الباري تعالى عن الآفات والنقائص" (١). اهـ

فالله سبحانه وتعالى ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا لا يوجد دليل عقلي على تنزيهه عن النقائص عندهم! وإنما الدليل هو الإجماع

ولكن الرازي هو الإمام الآخر عند القوم يقول: سلمنا دلالة الآية على كون الإجماع حجة لكن دلالة قطعية أم ظنية؟، الأول ممنوع والثاني مسلّم" (٢). اهـ

معناه أن الإجماع وإن وقع فدلالته ليست ظنية فتنزيه الله عن الآفات والنقائص ظني إذا!!

(١) الإرشاد، ص ٧٤.

(٢) المحصول

وقال الرازي أيضا: "نحن لا نقول بتكفير مخالف الإجماع ولا بتفسيقه ولا
نقطع أيضا، كيف وهو عندنا ظني"^(١). اهـ

إذا مثبت الآفات والنقائص لله جلّ في علاه لا يكفر ولا يفسق بناء على
هذا الكلام ..!

قال ابن القيم رحمه الله: "ونحن نقرر نفي ذلك بالأدلة القطعية والبراهين
اليقينية فإنه سبحانه لا يجوز أن يماثل خلقه في شيء من صفاتهم وأفعالهم فهو
منزه عن أن يطلب ما يقبح طلبه أو يريد ما لا يحسن إرادته أو يطلب ويكره
ويجب ما لا يصلح طلبه وكراهته ومحبه إلا للمخلوق وكل ما ينزه سبحانه عنه
من العيوب والنقائص فهو داخل فيما نزه نفسه عنه وفيما يسبح به ويقدس
ويحمد ويمجد وداخل في معاني أسمائه الحسنى وبذلك كانت حسنى أي
أحسن من غيرها فهي أفعال تفضيل معرفة باللام أي لا أحسن منها بوجه من
الوجوه بل لها الحسن الكامل التام المطلق وأسماءه الحسنى وآياته البينات
متضمنة لذلك ناطقة به صريحة فيه وإن ألحد فيها الملحدون وزاغ عنها
الزائغون.

وقد بينا فيما تقدم أن كل ما ينزه الرب عنه إن لم يكن متضمنا لإثبات
كماله ومستلزما لأمر ثبوتي يوصف به لم يكن في تنزيهه عنه مدح ولا حمد ولا
تمجيد ولا تسبيح إذ العدم المحض كاسمه لا حمد فيه ولا مدح وإنما يمدح
سبحانه بنفي أمور تستلزم أمورا هي حق ثابت موجود يستحق الحمد عليها

(١) المحصول

وذلك الحق الموجود ينافي ذلك الباطل المنفي فيستدل برفع أحدهما على ثبوت الآخر^(١). اهـ

وبعد أن تبين فساد هذا الباعث الفكري عقليا ونقليا يمكننا أن نتكلم في الحلقات القادمة تفصيلا عن الصفات التي نفاها السبكي والكوثري في السيف وحاشيته إن شاء الله تعالى.

(١) الصواعق المرسلة (٤/١٤٤٣).

تخطيهم في صفة العلو

ربي يسر وأعن برحمتك يا كريم

أكثر صفة احترب فيها الأشعريان مع ابن القيم رحمه الله هي صفة العلو وذكر ابن القيم حسب ما ورد في كتاب السبكي أدلة متكاثرة جدا جدا.. ولكن كلها كان مآلها النكير والجحود.

وسنرد -إن شاء الله- على أبرز الشبه التي ذكرها.

فأولا: النصوص الشرعية المتكاثرة على إثبات هذه الصفة في عدد من الأوجه مثل التصريح به ﴿وَهُوَ أَلْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ والاستواء ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ والنزول الذي ورد في الحديث: «ينزل ربنا»، وكذلك عروج الملائكة إليه ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، ونزولهم من عنده ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

ثانيا: بالدليل العقلي قال الإمام أحمد رحمه الله: فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجا من نفسه فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بد له من واحد منها:

١ - إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

٢- وإن قال: خلقهم خارجا من نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا كفرا أيضا حين زعم أنه دخل في مكان وحش قدر رديء.

٣- وإن قال: خلقهم خارجا من نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة^(١). اهـ

فالمباينة والمداخلة صفتان متناقضتان يلزم من إثبات إحداهما نفي الأخرى، ولا يوجد شيء له ماهية إلا ويتحتم اتصافه بإحدى هاتين الصفتين، والأشاعرة راغوا في هذه القضية وقالوا: بل ننفي عنه الدخول والخروج.

قال الغزالي: "إن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل به ولا هو منفصل عنه، قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطبقوا سماعه ومعرفته!"^(٢). اهـ

قال الكوثري في حاشيته على السيف الصقيل: "وهم يقولون: إنه لا يقال: إن الله في داخل العالم، كما لا يقال: إنه في خارج العالم، ولا أنه مستقر على العرش، لأن ذلك لم يرد في الكتاب والسنة!"^(٣). اهـ

قال الرازي: "أنا ندعي وجود موجود غير حال في العالم ولا مباين عنه في شيء من الجهات الست"^(٤). اهـ

(١) الرد على الزنادقة والجهمية، ص ٣٠٠.

(٢) الإحياء (٤/ ٤٣٤).

(٣) السيف الصقيل، ص ٣٩.

(٤) أساس التقديس، ص ٤.

فيقال لهم: هذا تشبيه له تعالى بالمتنعات، والجهمية القائلون بالحلول والاتحاد أفضل منكم من هذا الوجه لأنهم أثبتوا شيئاً موجوداً وأنتم أثبتتم ممتنعاً، وإثبات موجود ناقص أفضل من إثبات ممتنع.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فهذه القسمة حاصرة كما ذكره أحمد أنه لا بدّ من قول من هذه الأقوال الثلاثة، فإن جعلوه محلاً للمخلوقات فقد جعلوا إبليس والشياطين والنجاسات مما يبعد عن الله ملعون مطرود جعلوه في جوف الله وذلك كفر، وإن جعلوه حالاً فيها فقد جعلوه حالاً في كل مكان يتنزه عن مقاربتة وملاصقته والقرب منه وذلك أيضاً كفر كما تقدم.

وإذا انتفى هذان القسمان بقي القسم الثالث هو أنه سبحانه وتعالى خلق الخلق خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم، وهو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة وعموم الخلائق من كل ذي فطرة سليمة"^(١). اهـ

فهذا هو الدليل العقلي على إثبات العلو لله تعالى.

وأما الدليل الفطري:

فعلو الله على خلقه ضرورة فطرية يجدها الإنسان في قلبه، فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: "إن الناس مع اختلاف عقائدهم وأديانهم يشيرون إلى السماء عند الدعاء لله تعالى والرغبة إليه، وكلما عظمت رغبتهم واشتد إلحاحهم قوي رفعهم وإشارتهم، ولهذا لما كان دعاء الاستسقاء فيه من الرغبة والإلحاح ما ليس في غيره كان رفع النبي صلى الله عليه وسلم وإشارته فيه أعظم منه في غيره، وهذا

(١) بيان تلييس الجهمية (٢/٥٥١).

يفعلونه إذا دعوا الله مخلصين له الدين عندما يكونون مضطرين إلى الله عند الرغبة والرغبة مثل ركوب البحر وغيره، وفي تلك الحال يكونون قاصدين الله قصدا قويا، بل لا يقصدون غيره ويقرون بقصد قلوبهم وتوجهها إشارتهم بعيونهم ووجوههم وأيديهم إلى فوق، ومعلوم أن الإشارة تتبع قصد المشير وإرادته، فإذا لم يكونوا قاصدين إلا الله ولا مرادين إلا إياه لم تكن الإشارة إلا إلى ما قصده وسألوه، فانه في تلك الحال لا يكون في قلوبهم إلا شيئان المسؤول والمسؤول منه، ومعلوم أن هذه الإشارة باليد وغيرها ليست إلى الشيء المسؤول المطلوب من الله، ولا يخطر بقلوبهم أن هذه الإشارة إلى ذلك، ولا ادعاه المنازع في ذلك في أكثر الأوقات لا يكون فوق، فلم يبق ما تكون الإشارة إليه إلا المدعو المقصود، وإلا كانت الإشارة إلى ما لم يقصده الداعي ولم يشعر به وهذا ممتنع وهذا واضح لمن تدبره... الوجه السابع أن هذا الرفع يستدل به من وجوه أحدها: ان العبد الباقي على فطرته يجد في قلبه أمرا ضروريا إذا دعا الله دعاء المضطر أنه يقصد بقلبه الله الذي هو عال وهو فوق، الثاني: أنه يجد حركة عينه ويديه بالإشارة إلى فوق تتبع إشارة قلبه إلى فوق وهو يجد ذلك أيضا ضرورة، الثالث: ان الأمم المختلفة متفقة على ذلك من غير مواطاة، الرابع: انهم يقولون بألسنتهم: أنا نرفع أيدينا إلى الله، ويخبرون عن أنفسهم أنهم يجدون في قلوبهم اضطرابا إلى قصد العلو فالحجة تارة بما يجده الإنسان من العلم الضروري وتارة بما يدل على العلم الضروري في حق الناس، وتارة بأن الناس لا يتفقون على

ضلالة، فإنه إذا كان إجماع المسلمين وحدهم لا يكون إلا حقا فإجماع جميع الخلق الذين منهم المسلمون أولى أن لا يكون إلا حقا" (١). اهـ

ودليل الفطرة ثاب إليه أبو المعالي الجويني لما ذكّر به، قال الذهبي: "قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ: حَضَرَ الْمُحَدِّثُ أَبُو جَعْفَرِ الْهَمْدَانِي مَجْلِسَ وَعَظِ أَبِي الْمَعَالِي، فَقَالَ: كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَخْبِرْنَا يَا أَسْتَاذَ عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَجِدُهَا، مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا أَلَلَّهُ! إِلَّا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ ضَرُورَةَ تَطْلُبُ الْعُلُوَّ لَا يَلْتَفِتُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً، فَكَيْفَ نَدْفَعُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ أَنْفُسِنَا، أَوْ قَالَ: فَهَلْ عِنْدَكَ دَوَاءٌ لَدَفْعِ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَجِدُهَا؟ فَقَالَ: يَا حَبِيبِي! مَا نَمَّ إِلَّا الْحَيْرَةُ!. وَلَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ، وَنَزَلَ، وَبَقِيَ وَقْتُ عَجِيبٍ، وَقَالَ فِيمَا بَعْدَ: حَيَّرَنِي الْهَمْدَانِيُّ" (٢). اهـ

(وقد انبعث أشقى الأشعرية المدعو سعيد فودة لتضعيف هذه القصة ببحث على موقع الأصلين -أظن- ولكن هذا الرجل لا أحبه كثيرا ولا أحب القراءة له؛ لأنه معروف بالكذب والمجازفة، ثم إنه يتكلم كثيرا ولا يقول شيئا، وهمه الوحيد في كلامه: انظروا إلي فعندي ما ليس عند غيري).

فهذه النصوص والأدلة العقلية والفطرية تتعاضد في إثبات هذه القضية والسني تكفيه ظواهر الوحيين عما سواهما، ولكن الأشعري لما ساء ظنه بالوحيين وجعل ظواهرهما كفرا ثم حيدهما عوقب بفساد المشرب فإنه من عصي الله بشيء

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/٤٤٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٢٠).

عوقب بفساده، والأشعرية لما عصوا الله بترك منهل الوحيين، عوقبوا بالنهل من زبالات الفلاسفة.

ومن الاعتراضات التي أوردتها الرجالان على كلام ابن القيم في إثبات صفة العلو لله تعالى:

١- قال الكوثري: "وقد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم ابن فرح القرطبي في تذكرته رواية عن القاضي ابن العربي عن غير واحد من أصحاب إمام الحرمين عنه ما معناه: أن ذا حاجة حضر عنده وشكا من دين ركه فأشار إليه بالمشك لعل الله يفرج عنه وفي أثناء ذلك حضر غني يسأله عن الحجة في تنزه الله سبحانه عن الجهة، فقال إمام الحرمين: الأدلة على هذه كثيرة جدا، منها نهيه صلى الله عليه وسلم عن تفضيله على يونس بن متى عليه السلام. فصعب فهم وجه دلالة ذلك على الحضور، فسأله السائل عن وجه الدلالة، فقال إمام الحرمين: حتى تقضي حاجة هذا -مشيرا إلى صاحب الدين- فتولى قضاء دينه، ثم أجاب الإمام قائلا: إن هذا الحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند سدرة المنتهى لم يكن بأقرب إلى الله من يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت في قعر البحر، فدل ذلك على أنه تعالى منزّه عن الجهات، وإلا لما صح النهي عن التفضيل، فاستحسنه الحاضرون غاية الاستحسان" (١). اهـ المراد.

(١) السيف الصقيل، ص ٤٠.

طبعاً أنا لا أدري كيف فهم هذا الفهم ولا أدري كيف استحسنه الحاضرون أصلاً، ولا أدري لماذا يتقحم أحدهم الصعب والذلّول حتى يجوز على قصب السبق في الاعتداء على النصوص الشرعية.

هذا الحديث فسرّه العلماء بعدة تفسيرات فقالوا:

١- إنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعاً إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق.

٢- وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال.

٣- وقيل خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة^(١).

٤- وفي رواية للحديث: مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى^(٢)، وفي رواية أخرى: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ^(٣).

فتفسيرها واضح من سياقها: أنه لا ينبغي لأي شخص أن يقول ذلك، ليس النبي صلى الله عليه وسلم.

والأحاديث الدالة على اصطفاء النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الخلق وأنه سيد ولد آدم وأن الله اتخذته خليلاً كلها تقوي التفسير بأن المراد بعيد كل

(١) فتح الباري (٦/٤٥٢).

(٢) صحيح البخاري (٣٣٩٥).

(٣) صحيح البخاري (٣٤١٢).

البعد عما أجهد به الجويني عقله ثم أخرجه لذاك السائل المسكين وأضله به عن سواء السبيل.

ثم ما الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم عند سدره المنتهى؟ ما الشيء الذي كان محتجبا بالأنوار فقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «نور أتى أراه»؟ وما الشيء الذي كان يترادّ النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين موسى عليه السلام؟

هو الله تعالى الذي يحاول الأشعرية ليّ أعناق النصوص لتطويع آراءهم الفائلة.

ونقل السبكي عن الإمام مالك رحمه الله نقلا بلا زمام ولا خطام يوافق فيه تفسيره، وهو بلا مزية كذب عليه.

قال عبد الله في السنة ٥ - حدثني أبي رحمه الله قال: حدثنا سريج بن النعمان، أخبرني عبد الله بن نافع: الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء، وتلا هذه الآية ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وعظم عليه الكلام في هذا واستشعنه.

قال اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٦٨٢ - أخبرنا أحمد، قال: أخبرنا عمر، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن شاذان، قال: ثنا أسامة بن أحمد التجيبي، قال: ثنا الحارث بن مسكين، قال: ثنا أشهب، قال: وسئل مالك عن قوله عز وجل ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ ﴿٢٣﴾ أتُنظر إلى الله عز وجل؟ قال: نعم، فقلت: إن أقواما يقولون تنظر ما عنده، قال: بل تنظر إليه نظرا، وقد

قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ فقال له: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾، وقال: الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١٥). اهـ

٢- قال الكوثري: "ينص شيخه (أي ابن تيمية) في كتابه المذكور على أن المراد بالفوقية الفوقية الحسية، فكأنه لم يتل في كتاب الله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، والمراد بالفوقية فوقية العزة والقهر والتنزه، والله فوق ذلك في حديث الترمذي بمعنى أنه يعلو عن مدارك البشر ما في سنن الترمذي أيضا من حديث «لو دليتم»، قال: ابن جهبل: الفوقية ترد لمعنيين أحدهما: نسبة الجسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الأسفل، وهذا لا يقول به من لا يجسم، وثانيهما بمعنى المرتبة كما يقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الأمير، وكما يقال: جلس فلان فوق فلان، والعلم فوق العمل، والصياغة فوق البلاغة، قال تعالى ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ ولم يطلع أحدهم فوق أكتاف الآخر، وقال تعالى عن القبط ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾، وما ركبت القبط أكتاف بني إسرائيل ولا ظهورهم. اهـ فظهر بذلك بطلان التمسك بكلمة فوق في الآيات والأحاديث في إثبات الجهة له تعالى الله عن مزاعم المجسمة" (١). اهـ

معاني الألفاظ في اللغة تفهم من سياقاتها، فقوله تعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ لم يفهم أحد أن الفوقية هنا مكانية وإنما المراد أن فوق كل عالم عالم حتى ينتهي العلم إلى الله، وقوله ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ لا يفهم من سياقها إلا فوقية الدرجات لا الفوقية المكانية، ولكن مثل قوله تعالى ﴿ءَأَمِنُم مِّنْ

(١) السيف الصقيل، ص ٧٨.

فِي السَّمَاءِ ﴿ وَقَوْلُهُ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وَقَوْلُهُ ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ هَذِهِ السِّيَاقَاتُ لَا يَفْهَمُ مِنْهَا الْعَاقِلُ إِلَّا الْعُلُوَّ الْمَكَانِيَّ، وَأَمَّا حَدِيثُ «لَوْ دَلَيْتُمْ» مَعَ ضَعْفِهِ فَهُوَ عَلَيْكُمْ لَا لَكُمْ، وَلَكِنْ أَقْرَأُ بِتَأْنٍّ حَتَّى تَفْهَمُ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "و حديث الإدلاء الذي روي من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما قد رواه الترمذي وغيره من حديث الحسن البصري عن أبي هريرة وهو منقطع، فإن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، ولكن يقويه حديث أبي ذر المرفوع فإن كان ثابتاً فمعناه موافق لهذا فإن قوله لو أدلي أحدكم بحبل لبط على الله. إنما هو تقدير مفروض، أي: لو وقع الإدلاء لوقع عليه، لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على الله شيئاً لأنه عال بالذات، وإذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى، لكن بتقدير فرض الإدلاء يكون ما ذكر من الجزء وكما أن ما يهبط إلى جوف الأرض يمتنع صعوده إلى تلك الناحية لأنها عالية فتزد الهابط بعلوها، كما أن الجهة العليا من عندنا ترد ما يصعد إليها من الثقل فلا يصعد الثقل إلا برفع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط، فكذلك ما يهب أعلى الأرض إلى أسفلها وهو المركز لا يصعد من هناك إلا برفع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط إلى المركز، فإن قدر أن الدافع أقوى، كان صاعداً به إلى الفلك من تلك الناحية، وصعد به إلى الله، وإنما يسمى هبوطاً باعتبار ما في أذهان المخاطبين أن ما يحاذي أرجلهم يكون هابطاً، ويسمى هبوطاً مع تسمية إهباطه إدلاء وهو إنما يكون إدلاء حقيقياً إلى المركز، ومن هناك إنما يكون مداً للحبل والدلو لا إدلاء له، لكن الجزء والشرط مقدران لا محققان.

فإنه قال: لو أدلى لهبط، أي لو فرض أن هناك إدلاء لفرض أن هناك هبوطا، وهو يكون إدلاء وهبوطا إذا قدر أن السموات تحت الأرض وهذا التقدير منتف ولكن فائدته بيان الإحاطة والعلو من كل جانب، وهذا المفروض ممتنع في حقنا لا نقدر عليه فلا يتصور أن يدلي ولا يتصور أن يهبط على الله شيء، لكن الله قادر على أن يخرق من هنا إلى هناك بحبل ولكن لا يكون في حقه إدلاء فلا يكون في حقه هبوطا عليه.

كما لو خرق بحبل من القطب إلى القطب، أو من مشرق الشمس إلى مغربها، وقدرنا أن الحبل مر في وسط الأرض، فإن الله قادر على ذلك كله، ولا فرق بالنسبة إليه على هذا التقدير من أن يخرق من جانب اليمين منا إلى جانب اليسار، أو من جهة أمامنا إلى جهة خلفنا، أو من جهة رؤوسنا إلى جهة أرجلنا، إذا مر الحبل بالأرض، فعلى كل تقدير قد خرق بالحبل من جانب المحيط إلى جانبه الآخر مع خرق المركز، وبتقدير إحاطة قبضته بالسموات والأرض فالهبل الذي قدر أنه خرق به العالم وصل إليه ولا يسمى شيء من ذلك بالنسبة إليه إدلاء ولا هبوطاً^(١). اهـ

وقال رحمه الله: "وَعَلِمَ أَنَّ الْجِهَةَ قِسْمَانِ: قِسْمٌ ذَاتِيٌّ. وَهُوَ الْعُلُوُّ وَالسُّفُولُ فَقَطْ. وَقِسْمٌ إِضَافِيٌّ: وَهُوَ مَا يُنْسَبُ إِلَى الْحَيَوَانِ بِحَسَبِ حَرَكَتِهِ: فَمَا أَمَامَهُ يُقَالُ لَهُ: أَمَامٌ وَمَا خَلْفَهُ يُقَالُ لَهُ خَلْفٌ وَمَا عَنْ يَمِينِهِ يُقَالُ لَهُ الْيَمِينُ وَمَا عَنْ يَسْرَتِهِ يُقَالُ لَهُ الْيَسَارُ وَمَا فَوْقَ رَأْسِهِ يُقَالُ لَهُ فَوْقٌ وَمَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ يُقَالُ لَهُ تَحْتُ وَذَلِكَ أَمْرٌ إِضَافِيٌّ. أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا عَلَّقَ رِجْلَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَأْسُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَلَيْسَتْ

(١) مجموع الفتاوى (٥٧٢/٦).

السَّمَاءُ فَوْقَهُ وَإِنْ قَابَلَهَا بِرِجْلَيْهِ وَكَذَلِكَ النَّمْلَةُ أَوْ غَيْرُهَا لَوْ مَشَى تَحْتَ السَّقْفِ مُقَابِلًا لَهُ بِرِجْلَيْهِ وَظَهَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ لَكَانَ الْعُلُوُّ مُحَاضِيًا لِرِجْلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَوْقَهُ وَأَسْفَلَ سَافِلِينَ يَنْتَهِي إِلَى جَوْفِ الْأَرْضِ. وَالْكَوَكِبُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا مُحَاضِيًا لِرُءُوسِنَا وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْآخِرِ مِنَ الْفَلَكَ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا تَحْتَ شَيْءٍ بَلْ كُلُّهَا فَوْقَنَا فِي السَّمَاءِ وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ إِذَا تَصَوَّرَ هَذَا يَسْبِقُ إِلَى وَهْمِهِ السُّفْلُ الْإِضَافِيُّ كَمَا احْتَجَّ بِهِ الْجَهْمِيُّ الَّذِي أَنْكَرَ عُلُوَّ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ وَخَيَّلَ عَلَى مَنْ لَا يَدْرِي أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَقَدْ جَعَلَهُ تَحْتَ نِصْفِ الْمَخْلُوقَاتِ أَوْ جَعَلَهُ فَلَكًا آخَرَ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَاهِلُ. فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا زِمَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِاللَّهِ وَلَا هِيَ لَا زِمَةٌ بَلْ هَذَا يُصَدِّقُهُ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي حَدِيثِ الْإِذْلَاءِ؛ فَإِنَّ الْحَدِيثَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَيَدُلُّ عَلَى إِحَاطَةِ الْعَرْشِ كَوْنُهُ سَقْفَ الْمَخْلُوقَاتِ. وَمَنْ تَأَوَّلَهُ عَلَى قَوْلِهِ هَبَطَ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ كَمَا فَعَلَ التِّرْمِذِيُّ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ الْأَمْرُ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَلَمْ يَعْرِفْ صُورَةَ الْمَخْلُوقَاتِ وَخَشِيَ أَنْ يَتَأَوَّلَهُ الْجَهْمِيُّ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ قَالَ: هَكَذَا وَإِلَّا فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُ حَقٌّ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا^(١). اهـ

٣- نقل السبكي قول ابن القيم في دلائل العلو: وسادسها وسابعها النزول

والتنزيل.

فعلق الكوثري قائلا: قاتل الله الجهل، ما أفتكه! فمن الذي يجهل استمرار
الثلاث الأخير من الليل في البلاد باختلاف المطالع حتى يحمل النزول إلى السماء

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/١).

الدنيا على النزول الحسي، وقد حمل حماد بن زيد النزول في الحديث على معنى الإقبال ومن أهل العلم من حمل الحديث على أن الإسناد فيه مجازي من قبيل الإسناد إلى السبب الأمر ويؤيده حديث أبي هريرة في سنن النسائي وفيه: «ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب له»^(١). اهـ

يعني ابن جهل أن الله لو نزل في الثلث الأخير نزولا حقيقيا لاستمر نازلا ولم يصعد لأن ثلث الأخير يختلف باختلاف الأقطار وهو مستمر على الأرض باستمرار استدارة الشمس والقمر.

قلت:

أولا: الله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ثانيا: هذا الظن السيء الذي ظنه الأشاعرة لما وقع في قلوبهم من التشبيه، فهم قاسوا الله تعالى بخلقه، لأن المخلوق إذا نزل من مكان إلى مكان خلا منه المكان الأول، وأما نحن فنقول ينزل الرب من العرش ولا يخلو منه. فإذا لم تفهم هذا، فأقول:

ثالثا: أليس الله يسمع كلام عباده كلهم في الوقت نفسه، أليس يرزقهم كلهم في ساعة واحدة، وقد قيل لابن عباس: "كيف يكلمهم يوم القيامة كلهم في ساعة واحدة؟ قال كما يرزقهم في ساعة واحدة". اهـ

(١) السيف الصقيل، ص ٨٠.

وهذا كله مما يقر به المخالف، ولو سئل عن ذلك لقال: على ما يشاء قدير،
فكذلك نحن نقول في حديث النزول أنه تعالى على كل شيء قدير. فيستطيع
سبحانه وتعالى أن ينزل في ثلث كل قطر على حدة.

فليس مع القوم من الشبه إلا من جنس هذه الشبه التافهة التي لا يمكن أن
يرد كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الناس بمثلها.

ومن الاعترافات الأشعرية في الباب، ما قاله القرطبي في تفسيره: "وقد كان
السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا
هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من
السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم
مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله:
الاستواء معلوم - يعني في اللغة - والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة" (١). اهـ

وعلق الكوثري على هذا بأنه: "تساهل منه في العبارة، فإنه لم يرد لفظ الجهة في
عبارة السلف ولا في كتاب الله... إلخ ما قاله" (٢).

قلت: مراد القرطبي واضح بأنه عنى بلفظ (الجهة) = العلو، وهذه القضية
تزخر بها كتب السلف والله الحمد، ولكن الكوثري لا ينتبه لما يخرج منه.
وقد تفنن السبكي والكوثري في سب وقدح بل وتكفير من أثبت صفة العلو
لله تعالى.

(١) تفسير الآية رقم ٥٤ من سورة الأعراف.

(٢) التمهيد، ص ٢٦٠، تحقيق رتشارد يوسف مكارثي اليسوعي.

فهل تعلم أخي القارئ بأن متقدمي الأشاعرة كانوا يشبثونها؟!

قال أبو بكر الباقلاني: "فإن قالوا: هل تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما خبر في كتابه فقال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وقال ﴿أَمْنُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾، ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان وفمه وفي الحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها.."^(١) اهـ المراد .

قال البيهقي: باب القول في الاستواء، -ثم ذكر آيات في صفة العلو-، قال: "إلى سائر ما ورد في هذا المعنى، وقال ﴿أَمْنُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وأراد من فوق السماء كما قال ﴿وَلَأَصْلَبَنَّهُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ يعني على جذوع النخل، وقال ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني على الأرض، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات، فمعنى الآية والله أعلم: أأمتم من على العرش وكما صرح به في سائر الآيات"^(٢) اهـ

وردوا على شبهه هي من جنس شبه السبكي والكوثري، وكان المتقدمون ينسبون تلك الشبه للجهمية والمعتزلة.

وقال ابن فورك: "فأما القول بوجوب الرؤية للمؤمنين في القيامة فإنه كان يقول -أي أبو الحسن الأشعري-: إن طريق ذلك الخبر، وقد ورد بذلك نص الكتاب والسنة، واتفقت عليه الصحابة وفقهاء الأمصار من التابعين ومن بعدهم.

(١) السيف الصقيل، ص ٨٨.

(٢) الاعتقاد والهادي إلى سبيل الرشاد، ص ١١٦.

وكان لا يفرق بين القول بأن الله يُرى بالبصر ويدرك بالبصر، ويقول: إن الإدراك المقرون بالبصر لا يكون إلا رؤية البصر" (١). اهـ

فما بال السبكي والكوثري الآن ينتحلان مذاهب الجهمية؟!

وهل تكفير السبكي والكوثري لمثبتي صفة العلو يشمل الباقلاني والبيهقي وابن فورك وأبي الحسن الأشعري؟

والرازي أوقع منهم قيلا حيث اعترف بمذهب شيخ الطريقة فقال: "مسألة: الظاهريون من المتكلمين زعموا أن لا صفة وراء الله وراء السبع أو الثمان، وأثبت أبو الحسن الأشعري اليد صفة وراء القدرة، والوجه صفة وراء الوجود، وأثبت الاستواء صفة أخرى" (٢). اهـ

(١) مقالات الأشعري لابن فورك، ص ٨١.

(٢) المحصول.

تخطيهم في صفة الكلام

رب يسر وأعن برحمتك يا كريم

قبل أن أبدأ بنقض اعتراضاتهم أود أن أعرض مذهب الأشعرية في هذه الصفة إذ أنهم يدعون أنهم يثبتونها من ضمن الصفات السبع التي يثبتون، فأقول: يدعي الأشاعرة: أن الله سبحانه وتعالى متصف بالكلام (لكن كلامه ليس بحرف وصوت وإنما هو كلام نفسي) وليس بكلام حقيقي، وهو معنى واحد إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان تورا وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا!، والكلام الذي يسمعه جبريل عليه السلام إذا أوحى إليه، والذي سمعه موسى عليه السلام عند الشجرة مخلوق.

(وَجُوهُورُ الْعُقَلَاءِ يَقُولُونَ: فَسَادُ هَذَا مَعْلُومٌ بِالْإِضْطِرَارِ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ مَعَانِي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لَيْسَتْ هِيَ مَعَانِي ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وَلَا مَعَانِي آيَةِ الدِّينِ مَعَانِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَلَا مَعَانِي الْخَبْرِ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ هِيَ مَعَانِي الْخَبْرِ عَنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ)^(١).

وإن -زعمهم- إثبات صفة الكلام مع تفسيرهم لها بأنها كلام نفسي بلا حرف ولا صوت فليس هذا إلا تمويه للقول بخلق القرآن، فإنه من المعلوم أن الكلام إذا أطلق لا يقصد به إلا ما كان من حرف وصوت وأما الكلام النفسي -

(١) مجموع الفتاوى (٧١/١٧).

أو حديث النفس - فإنه لا يقصد إلا إذا كان مضافاً؛ كأن يقال: قلت في نفسي، أو: زورت في نفسي، ومنه قول الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي أنه: قال ما قاله: في نفسه وليس بصوت يسمعون.

قال الإمام السمعاني رحمه الله في تفسيره: ومعناه: أسر الكلمة في نفسه، وتلك الكلمة ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ ولم يصرح بهذا القول. اهـ

قال البيجوري الأشعري: "القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق" (١). اهـ

و قال الرازي الأشعري: "إنه تعالى إذا أراد شيئاً أو كره شيئاً خلق هذه الأصوات المخصوصة في جسم من الأجسام لتدل هذه الأصوات على كونه تعالى مريداً لذلك الشيء المعين أو كارهاً له" (٢). اهـ

وهذه البدعة التي هي إثبات كلام عري عن الحرف والصوت لم يسبق أحد إليها قبل هؤلاء الأشاعرة.

قال الإمام أبو نصر السجزي رحمه الله: "وأن توردوا الحجة على أن الكلام لن يعرى عن حرف وصوت البتة، وأن ما عري عنهما لم يكن كلاماً في الحقيقة وإن سمي في وقت بذلك تجوزاً واتساعاً" (٣). اهـ

(١) جوهرة التوحيد، ص ٩٤.

(٢) الأربعين، ص ١٧٧.

(٣) رسالته إلى أهل زبيد، ص ٨٦.

وقال رحمه الله: "وأن أحدا من الأمة قبل خصومنا هؤلاء ما عرف قرآنا ينقري ولا يدخله الحرف والصوت، والأشعري أيضا لم يعرف ذلك، وإنما حملة على ما قال التحير مع قلة الحياء"^(١). اهـ

أخي القارئ بعدما تبين لك حقيقة قولهم في صفة الكلام نبداً بعرض تقارير الرجلين من الكتاب وحاشيته بإذن الله:

١ - قال السبكي: "تخبط الناظم في الصوت: قال -أي ابن القيم-: والله ربي لم يزل متكلماً.. هو قول ربي بعضه لفظاً ومعنى.. ما هما خلقان.

ثم علق السبكي: أما كونه لم يزل متكلماً، وقوله مع ذلك إنه لفظ وإنه غير مخلوق فكلام من لا يدري ما يقول"^(٢). اهـ

قلت: ابن القيم رحمه الله يقرر عقيدة السلف من أن الله يتكلم بكلام حقيقي بحرف وصوت غير مخلوقين، وأنه يتكلم متى شاء.

وهذا شيء (لم يستطع السبكي تصويره) لما ذكرناه في منبع الغواية أنهم يتكلمون في هذه الأبحاث من منطلق التعطيل

ثم علّق الكوثري على هذا الكلام قائلاً: "لأن اللفظ لا بد أن يكون باعتبار وجوده الخارجي متعاقب الحروف فلا يتصور العاقل في مثله قدماً". اهـ

(١) رسالته، ص ١٠٩.

(٢) السيف الصقيل، ص ٥٧.

قلت معنى كلامه أن حقيقة صفة الكلام التي يقررها ابن القيم أنها تخرج من الله كلمة بعد كلمة حرفاً بعد حرف (متعاقبة = شيئاً بعد شيء)، ثم ادعى أن هذا شيء لا يتصور في صفة الله لأنها قديمة.

أقول: إن صفة الكلام لله سبحانه وتعالى فعلاً قديمة أزلية وجودها مع وجوده سبحانه لكنها حادثة الآحاد يفعلها الله متى شاء. وهذا شيء لا يتصوره المعطل!

قال ابن تيمية: "فإن مذهب السلف أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء وكلماته لا نهاية لها، وكل كلام مسبوق بكلام قبله لا إلى نهاية محدودة وهو سبحانه يتكلم بقدرته ومشيئته، وكذلك يقولون الحي لا يكون إلا فعلاً كما قاله البخاري وذكره عن نعيم بن حماد وعثمان بن سعيد وابن خزيمة وغيرهم ولا يكون إلا متحركاً كما قال عثمان بن سعيد الدارمي وغيره وكل منهما يذكر أن ذلك مذهب أهل السنة"^(١). اهـ

ثم قال الكوثري: "نعم ليس للفظ باعتبار وجوده العلمي والنفسي تعاقب فيكون قديماً كما قال بذلك أحمد وتابعه ابن حزم، وهو الموافق لتحقيق القوم في الكلام النفسي". اهـ

قلت: كون القرآن في علم الله قديم هذا شيء لا يُنازع فيه فالله سبحانه يقول ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ والله سبحانه علمه أزلي، وهذا الوجود العلمي غير وجوده حين تكلم به وأوحاه إلى جبريل عليه السلام.

(١) مجموع الفتاوى (٥/٥٣٥).

قال عبدالله في السنة ١ - سمعت أبي رحمه الله، يقول: من قال: القرآن مخلوق فهو عندنا كافر، لأن القرآن من علم الله عز وجل وفيه أسماء الله عز وجل وقال ٣ - من قال: القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

وقال ١٢ - حدثني شيخ، لنا بصري، حدثني عبدة بن محمد، حدثنا عبد الله بن المبارك، سمعت سفيان الثوري، يقول: من زعم أن قول الله عز وجل ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ مخلوق فهو كافر زنديق حلال الدم.

وهذا بعينه كلام الرازي والجويني الذي نقلته في الأعلى، وهو بعينه ما يعتقده جميع الأشاعرة.

٢ - قال السبكي: قال -ابن القيم-: لكن أصوات العباد مخلوقة، فإذا انتفت الوساطة تكلم الله لموسى، فالمخلوق نفس السمع لا المسموع، هذه مقالة أحمد (يعني ابن حنبل) ومحمد (يعني البخاري). اهـ

فعلق الكوثري قائلاً: "لا فرق بين موسى عليه السلام وبين غيره في خلق السمع فيهما، وأما المسموع فإن كان يريد به الصوت المكيف فذلك، وإن كان يريد به ما هو قائم بالله فجعل الإله أن يقوم به عرض سيال". اهـ

قلت هذا كلام الجهمية الذي نتحدث عنه وهو نفي الكلام الحقيقي عن الله وجعل الصوت الذي سمعه موسى عليه السلام مخلوقاً، ثم إن المفهوم من كلام الكوثري عدم وجود فضيلة زائدة لموسى عليه السلام من اختصاص الله له بشيء زائد عن باقي الخلق في الكلام كقوله تعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ

وَرُسُلًا لَّمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٠﴾ وقول آدم لموسى
عليهما السلام "اصطفاك الله بكلامه" فأين الاصطفاء إذ لم يسمع موسى عليه
السلام إلا كلاما مخلوقا؟!.

ثم قال: والوارد في الكتاب أنه تعالى كلم موسى بدون ذكر الصوت أصلا
والتكلم لا يستلزم الصوت قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾. اهـ

قلت هذه التقسيمة الثلاثية هي الحاصلة، إما:

١- وحي يوحى إليه.

٢- وإما كلام من وراء حجاب بلا واسطة كما حصل مع موسى ونبينا صلى
الله عليه وسلم.

٣- وإما أن يرسل رسولا يوصل رسالته وهو جبريل عليه السلام.

ولكن الهوى اجتر الكوثري عن هذا الفهم حتى قال: إذ لا صوت في الوحي
إلى القلب، والصوت في الثالث صوت الرسول دون المكلم، فليكن الكلام من
وراء حجاب كذلك وهو الذي حصل لموسى.... اهـ

تأمل أخي القارئ الله سبحانه قسم سبل إبلاغ الرسالة إلى ثلاث طرق،
وجاء المؤول ورَدَّ الثانية على الثالثة تحكما وإغالا في الهوى!!

٣- ثم قال السبكي: "ثم قال- ابن القيم - في بيت الأخطل: يا قوم قد غلط النصرارى في الكلمة، ونظير هذا من يقول كلامه، معنى قديم غير محدث، والشرط مخلوق وتلك حروفه ناسوته".

قال: أبصر هذه الجراءة وتشبيهه أقوال العلماء بأقوال النصرارى وجهله وكذبه بأن الحروف كالناسوت والمعنى القائم بذات الرب سبحانه وتعالى والألفاظ بالقارئ لا يتحد أحدهما بالآخر ولا يحل فيه كما يقول النصرارى تعالى الله عن قولهم. اهـ

قلت: ينتقد ابن القيم رحمه الله الأشاعرة باستدلالهم ببيت للأخطل لإثبات عقيدتهم، وهو:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليل

فيقول ابن القيم: "الأخطل نصراني والنصارى قد غلطوا في فهم كلمة الله ﴿كُنْ﴾ في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ فَالْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ حِينَ قَالَ لَهُ: كُنْ؛ فَكَانَ عِيسَى بَكْنٌ وَلَيْسَ عِيسَى هُوَ الْكُنْ وَلَكِنْ بِالْكَنْ كَانَ فَالْكَنْ مِنْ اللَّهِ قَوْلٌ وَلَيْسَ الْكُنْ مَخْلُوقًا. وَكَذَبَ النَّصَارَى... قَالَتِ النَّصَارَى عِيسَى رُوحُ اللَّهِ مِنْ ذَاتِ اللَّهِ وَكَلِمَةُ اللَّهِ مِنْ ذَاتِ اللَّهِ كَمَا يُقَالُ: إِنَّ هَذِهِ الْحُرْقَةَ مِنْ هَذَا الثَّوبِ، وَقُلْنَا نَحْنُ: إِنَّ عِيسَى بِالْكَلِمَةِ كَانَ وَلَيْسَ هُوَ الْكَلِمَةُ"^(١).

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢١٩-٢٢٠)

"فهم يعني الأشاعرة في لفظ القرآن الذي حُرُوفه واشتماله على المعنى هم مضاهاة قوِّية بالنصارى في جَسَد المسيح الذي (هو) متدرع اللاهوت فإن هؤلاء متفقون على أن حُرُوف القرآن ليست من كلام الله بل هي مخلوقة كما أن النصارى متفقون على أن جَسَد المسيح لم يكن من اللاهوت بل هو مخلوق ثم يقولون المعنى القديم لما أنزله بهذه الحُرُوف المخلوقة فمنهم من يسمي الحُرُوف كلام الله حقيقة كما يسمي المعنى كلام الله حقيقة ومنهم من يقول بل هي كلام الله مجازاً كما أن النصارى منهم من يجعل لاهوتاً حقيقة لاتحاده باللاهوت واختلاطه به ومنهم من يقول هو محل اللاهوت ودعاؤه، ثم النصارى تقول هذا الجسد إنما عبد لكونه مظهر اللاهوت وإن لم يكن هو إياه ولكن صار هو إياه بطريق الاتحاد وهو محله بطريق الحُلُول فعظم لذلك هؤلاء يقولون هذه الحُرُوف ليست من كلام الله ولا يجوز أن يتكلم الله بها ولا تكلم بها بل لا يدخل في قدرته أن يتكلم بها ولكن خلقها فأظهر بها المعنى القديم ودل بها عليه فاستحقت الإكرام والتَّحريم لذلك حيث تدخل في حكمه بحيث لا يفصل بينهما أو يفصل بأن يقال هذا مظهر هذا ودليله وجعلوا ما ليس هو كلام الله ولا تكلم الله به قطّ كلاماً لله مُعظماً تَعْظِيم كلام الله كما جعلت الناسوت هو الكلمة إلهاً وعظموه تَعْظِيم الإله الذي هو كلمة الله عنده، ومنها أن النصارى على ما حكى عنهم المتكلمون كابن الباقلاني أو غيره ينفون الصِّفَات، ويقولون: إن الأَفَانِيَم التي هي الوجود والحياة والعلم هي خواص هي صِغَات نفسية للجوهر ليست صِغَات زَائِدَة على الذات، ويقولون إن الكلمة هي العلم ليست هي كلام الله، فإن كلامه صفة فعل وهو مخلوق فقولهم في هذا كقول نفاه الصفة من الجُهمية المُعْتَزَلَة وغيرهم وهذا يكون

قَوْلَ بَعْضِهِمْ مِمَّنْ خَاطَبَهُ مَتَكَلَّمُوا الْجَهْمِيَّةَ مِنَ النِّسْطُورِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ وَمِمَّنْ تَفَلَّسَفَ مِنْهُمْ عَلَى مَذْهَبِ نِفَاةِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَفَلِّسَةِ وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ ، وَإِلَّا فَلَا رَيْبَ أَنَّ النَّصَارَى مُثَبِّتَةٌ لِلصِّفَاتِ بَلْ غَالِيَّةٌ فِي ذَلِكَ كَمَا أَنَّ الْيَهُودَ أَيْضًا فِيهِمُ الْمَثَبَةُ وَالنِّفَاةُ ، وَالْمُقْصُودُ هُنَا أَنَّ تَسْمِيَتَهُمْ لِلْعِلْمِ كَلِمَةً دُونَ الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ الْكَلَامُ ، ثُمَّ ذَلِكَ الْعِلْمُ لَيْسَ هُوَ أَمْرًا مَعْقُولًا كَمَا نَعْقِلُ الصِّفَاتِ الْقَائِمَةَ بِالْمَوْصُوفِ ، ضَاهَاهُمْ فِي ذَلِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ الْكَلَامَ هُوَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِالنَّفْسِ دُونَ الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ الْكَلَامُ ، ثُمَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى لَيْسَ هُوَ الْمُعْقُولُ مِنْ مَعَانِي الْكَلَامِ فَحَرَفُوا اسْمَ الْكَلَامِ وَمَعْنَاهُ كَمَا حَرَفَتِ النَّصَارَى اسْمَ الْكَلِمَةِ وَمَعْنَاهَا ^(١) .

٤ - قال السبكي: "نوافقه على ذلك على قول الأشعري إن الكلام النفسي يسمع ولا يلزم أن يكون هناك حرف وصوت، ومن اعترف بكلام الله تعالى وأن موسى سمعه ولم يقل إنه حرف أو صوت أو غير ذلك بل وقف عند حده وعجزه وجهله ونزه الله تعالى عن صفات خلقه، سلم". اهـ

قلت وأنتم معاصر الأشاعرة لما نفيتم عن الله تعالى صفة الكلام الحقيقي لم تنزهوه عن مشابهة مخلوقاته بل شبهتموه بالجماد الأصم فلم تسلموا مما هربتم منه ولم تسلموا من مخالفة كافة الطوائف!

قال السجزي رحمه الله: "الفصل السادس: في إيراد الحجة على أن الكلام لن يُعَرَى عن حرف وصوت البتة، وأن ما عُرِيَ عنهما لم يكن كلاماً في الحقيقة وإنما

(١) التسعينية (٣/ ٨٦٤-٨٦٦).

سمي في وقت بذلك تجوزاً واتساعاً... وبين قول السلف وإفصاحهم بذكر الحرف والصوت أو ما دل عليهما.

ينبغي: أن ينظر في كتب من درج، وأخبار السلف هل قال أحد منهم: إن الحروف المتسقة التي يتأتى سماعها وفهمها ليست بكلام الله سبحانه على الحقيقة؟ وأن الكلام غيرها ومخالف لها، وأنه معنى لا يدري ما هو غير محتمل شرحاً وتفسيراً؟ فإن جاء ذلك عن أحد من الأوائل والسلف، وأهل النحل قبل مخالفينا الكلابية والأشعرية عذروا في موافقتهم إياه.

وإن لم يرد ذلك عمن سلف من القرون والأمم ولا نطق به كتاب منزل ولا فاه به نبي مرسل ولا اقتضاه عقل، علم جهل مخالفينا وإبداعهم^(١). اهـ

قال ابن تيمية رحمه الله: "وبالجملة لا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم إلا من يقوم به القول والكلام لا يعقل في لغة أحد لا لغة الرسل ولا غيرهم ولا في عقل أحد أن المتكلم يكون متكلماً بكلام لم يقم به قط بل هو بائن عنه أحدثه في غيره كما لا يعقل أنه متحرك بحركة"^(٢). اهـ

والإلزامات التي أثرت على الأشعرية في صفة الكلام اعترف الآمدي - كعادته وصراحته - بأنه يصعب الخلوص منها، فقال: "والحق أن ما أورد من الإشكال على القول باتحاد الكلام وعود الاختلاف إلى التعلقات والمتعلقات

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت، ص ٢١٥.

(٢) منهاج السنة (٢/٣٧٤).

مشكل، وعسى أن يكون عند غيري حله، ولعسر جوابه ذهب بعض أصحابنا إلى القول بأن كلام الله تعالى القائم بذاته خمس صفات مختلفة^(١)! اهـ

(١) أبكار الأفكار (٢/٣٢٤).

مساجلة مع الرجلين فيما عطلاه

من صفات الرب سبحانه

رب يسر وأعن برحمتك يا كريم

ذكرت في ثنايا المقالات السابقة أن أهل السنة يثبتون لله عز وجل الصفات التي نطق بها الكتاب ووردت في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم إثباتا بلا تشبيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وينزهونه تعالى عن النقص والعيب ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ويسكتون عما سوى ذلك ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

فالمصدر الأول والأخير هو الشرع!

وسنذكر إن شاء الله كلام الرجلين وسنعقب عليه بالنص الذي خالفاه من الكتاب أو من السنة ومن كلام العلماء.

قال الكوثري مشنعا على أهل السنة:

١ - [فمن قال إنه استقر بذاته على العرش].

قلت: قال ابن القيم رحمه الله: "قول إمامهم - أي المفسرين - ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ذكر البيهقي عنه في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قال: استقر"^(١). اهـ

قال البغوي في تفسيره ل(استوى): "قال الكلبي ومقاتل: استقر". اهـ

قال القرطبي (الأشعري): "والاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار". اهـ
وقد ذكرت في مقال سابق أن القرطبي يعترف أن السلف كانوا مثبتين لصفة العلو على خلاف عقد الأشعري ورغم معرفته بذلك إلا أنه يعترف بمخالفته لهم إغالا بالتمشع.

قال ابن عبد البر: الاستواء الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا الله عز وجل:^(٢). اهـ

٢ - [قال: وينزل بذاته من العرش].

قلت: نزول الرب ثبت من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم.

قال البخاري في صحيحه: ١١٤٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ١٥٧.

(٢) التمهيد (١٣١/٧).

قال الكوسج في مسائله للإمام أحمد وإسحاق: ٣٢٩٠ - قُلْتُ لِأَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَنْزِلُ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، أَلَيْسَ تَقُولُ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَيُرُونَ - أَهْلَ الْجَنَّةِ - رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تَقْبَحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ يَعْنِي: صُورَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ فِيهَا قَدَمَهُ، وَإِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَطَمَ مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامَ. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: كُلُّ هَذَا صَحِيحٌ. قَالَ إِسْحَاقُ: كُلُّ هَذَا صَحِيحٌ، وَلَا يَنْكَرُهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ أَوْ ضَعِيفُ الرَّأْيِ.

قال اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٦٠٢ - وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُمَرُ، قَالَ: ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَّارُ، قَالَ: ثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَلْخِيُّ، قَالَ: قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضَ: إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ: أَنَا كَفَرْتُ بِرَبِّ يَنْزِلُ، يَزُولُ، فَقُلْ: أَنَا أَوْ مِنْ رَبِّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

قال ابن أبي زمنين: وَأَخْبَرَنِي وَهْبٌ عَنْ ابْنِ وَصَّاحٍ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ: كُلُّ مَنْ أَدْرَكَتْ مِنَ الْمَشَايخِ: مَالِكٌ وَسُفْيَانٌ وَفُضَيْلٌ بْنُ عِيَّاضٍ وَعِيسَى وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَوَكَيْعٌ كَانُوا يَقُولُونَ: النَّزُولُ حَقٌّ.

٣- [قال: وَيُقْعَدُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَرْشِ مَعَهُ].

قلت: إقْعَادُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَبَتَ عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ السَّنَةِ

قال الخلال في السنة: ٢٤١ - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الدَّقِيقِيُّ، قَالَ: ثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: ثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، قَالَ: يُجْلِسُهُ عَلَى الْعَرْشِ.

٢٤٧ - وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَصْرَمَ الْمُزْنِيُّ، بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَقَالَ: مَنْ رَدَّ هَذَا فَهُوَ مُتَّهَمٌ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ، وَزَعَمَ أَنَّ مَنْ قَالَ بِهَذَا فَهُوَ ثَنَوِيٌّ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ وَالتَّابِعِينَ ثَنَوِيَّةٌ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا فَهُوَ زَنْدِيقٌ يُقْتَلُ.

٢٥٤ - وَسَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ صَدَقَةَ، يَقُولُ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ يَوْمًا، وَذَكَرَ حَدِيثَ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: هَذَا حَدَّثَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَجْلِسِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ فَكَمْ تَرَى كَانَ فِي الْمَجْلِسِ، عَشْرِينَ أَلْفًا، فَتَرَى لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا قَامَ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: لَا تُحَدِّثْ بِهَذَا الْحَدِيثِ، أَوْ أَظْهَرَ إِنكَارَهُ، تَرَاهُ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ ثُمَّ إِلَّا وَقَدْ قُتِلَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ صَدَقَةَ، وَصَدَقَ، مَا حُكِّمَهُ عِنْدِي إِلَّا الْقَتْلُ.

قال أبو يعلى: "قَالَ النجاء: ولو أن حالفا حلف بالطلاق ثلاثا أن الله يقعد محمدا - صلى الله عليه وسلم - معه على العرش واستفتاني في يمينه لقلت له: صدقت في قولك وبررت في يمينك وامرأتك على حالها فهذا مذهبنا وديننا واعتقادنا وعليه نشأنا ونحن عليه إلى أن نموت إن شاء الله فلزمنا الإنكار على من رد هذه الفضيلة التي قالها العلماء وتلقوها بالقبول فمن ردها فهو من الفرق الهالكة" (١). اهـ

(١) طبقات الحنابلة (١١/٢).

وقال: "وسمعت أخي القاسم - نضر الله وجهه - يقول: لم يكن البرهاري يجلس مجلساً إلا ويذكر فيه أن الله عز وجل يقعد محمداً - صلى الله عليه وسلم - معه على العرش" (١).

قال الإمام الطبري رحمه الله: "فإن ما قاله مجاهد من أن الله يُقعد محمداً صلى الله عليه وسلم على عرشه، قول غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالة ذلك.." (٢). اهـ

قال الدارقطني رحمه الله تعالى:

حديث الشفاعة في أحمد	إلى أحمد المصطفى نسنده
وأما حديث بإقعاده	على العرش أيضاً فلا نجحده
فلا تنكروا أنه قاعد	ولا تنكروا أنه يقعه
أمروا الحديث على وجهه	ولا تدخلوا فيه ما يفسده

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فقد حدث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون: أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه ربه على العرش معه.

روى ذلك محمد بن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، في تفسير: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وذكر ذلك من وجوه أخرى مرفوعة وغير مرفوعة. قال ابن جرير: "وهذا ليس مناقضاً لما استفاضت به الأحاديث

(١) المرجع السابق (٤٣/٢).

(٢) تفسيره (١٣٤/٨).

من أن المقام المحمود هو الشفاعة، باتفاق الأئمة من جميع من ينتحل الإسلام ويدعيه، لا يقول: إن إجلاسه على العرش منكر. وإنما أنكره بعض الجهمية. ولا ذكره في تفسير الآية منكر.. "إلخ" ^(١).

مع أن بعض الأشعرية يثبتونه أيضاً!

قال ابن حجر: "ويمكن رد الأقوال- في معنى المقام المحمود- كلها إلى الشفاعة العامة، فإن إعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلسه على كرسيه وقيامه أقرب من جبريل كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق" ^(٢). اهـ

٤ - [قال: وإن له ثقلاً يثقل على حملة العرش].

قلت: قال عبدالله في السنة ٩٣٠ - حدثني أبي، نا أبو المغيرة، حدثتنا عبدة بنت خالد بن معدان، عن أبيها خالد بن معدان أنه كان يقول: إن الرحمن سبحانه وتعالى ليثقل على حملة العرش من أول النهار إذا قام المشركون حتى إذا قام المسيحون خفف عن حملة العرش.

٩٣٧ - حدثني أبي، نا وكيع، نا سفيان، عن جابر، عن عبد الله بن يحيى، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال: ممتلئ به.

٩٣٨ - حدثني أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم بن معمر، نا وكيع، عن سفيان، عن خفيف، عن عكرمة، ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال: مثقلة به.

(١) مجموع الفتاوى (٣٧٤/٤).

(٢) فتح الباري (٤٢٧/١١).

٩٣٩ - حدثني أبي قال: أُملي علينا وكيع ببغداد، عن سفيان، عن عكرمة، ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال: ممتلى به.

٩٤٠ - حدثني أبي، نا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال: مثقل به.

٩٤١ - حدثني عبيد الله بن عمر القواريري، نا يزيد بن زريع، نا أبو رجاء، قال: سمعت الحسن، ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال: مثقلة به موقرة.

٥- [ثم قال: وأنه يماس العرش أو أحدا من خلقه].

قلت: مس الله لمخلوقاته ثبت من قول الله تعالى فقد قال سبحانه لإبليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ فلم يخلقه تعالى بيديه إلا وقد مسه

ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال مسلم في صحيحه: ١٥ - (٢٦٥٢) حدثنا إسحاق بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن يزيد الأنصاري حدثنا أنس بن عياض حدثني الحارث بن أبي ذباب عن يزيد (وهو ابن هرمز) وعبدالرحمن الأعرج قالا سمعنا أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم موسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاما. قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ قال: نعم. قال:

أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى.

ثم من قول سلفنا الصالح:

قال الدارمي في النقض: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، ثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مِهْرَانَ - وَهُوَ الْمُكْتَبُ - ثَنَا مُجَاهِدٌ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: "خَلَقَ اللَّهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: - الْعَرْشُ، وَالْقَلَمُ، وَعَدْنُ، وَآدَمُ ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ".

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مَيْسَرَةَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمَسَّ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ ثَلَاثٍ: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ (كَأَنَّ سَقَطَتْ كَلِمَةُ عَدْنٍ) بِيَدِهِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ، ثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: "لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ غَيْرَ ثَلَاثٍ: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، قَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ".

(ليس بين الآثار تعارضاً فالصحابي الجليل عبدالله بن عمر علم ما لم يعلمه
رحمهما الله فقط).

إلى أن قال الكوثري عمن ثبت ما نطق به الكتاب وثبتت به السنة وروى عن السلف أنه: "فلا نشك في زيغهِ وخروجه وبعده عما يجوز في الله سبحانه، وهذا مكشوف جداً فلا يمكن ستر مثل تلك المخازي بدعوى السلفية، والذين يدينون

بها هم الذين نستنكر عقائدهم ونستخف أحلامهم، ونذكرهم بأنهم نوابت
حشوية" (١). اهـ

والأمر المحير فعلا أن هؤلاء النوابت الحشوية المجسمة يقرر العز بن
عبد السلام أن الصحابة منهم!!

وصرح العز بن عبد السلام الأشعري أيضا أن قول الأشاعرة صعب المدرك
عسر الفهم!!

فقال: "وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُمَكِّنُ تَصْوِيبَ الْمُجْتَهِدِينَ فِيهِ بَلْ الْحَقُّ مَعَ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ، وَالْبَاقُونَ مُخْطِئُونَ خَطَأً مَغْفُورًا عَنْهُ لِمَشَقَّةِ الْخُرُوجِ مِنْهُ وَالْإِنْفِكَاءِ عَنْهُ، وَلَا
سِيَّما قَوْلَ مُعْتَقِدِ الْجِهَةِ فَإِنَّ اعْتِقَادَ مَوْجُودٍ لَيْسَ بِمُتَحَرِّكِ وَلَا سَاكِنٍ وَلَا مُتَفَصِّلٍ عَنْ
الْعَالَمِ وَلَا مُتَّصِلٍ بِهِ، وَلَا دَاخِلٍ فِيهِ وَلَا خَارِجٍ عَنْهُ لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ أَحَدٌ بِأَصْلِ الْخَلْقَةِ
فِي الْعَادَةِ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى أدَلَّةٍ صَعْبَةٍ الْمُدْرِكِ عُسْرَةِ الْفَهْمِ
فَلَأَجَلَ هَذِهِ الْمَشَقَّةِ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا فِي حَقِّ الْعَادِي.

وَلِذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُلْزَمُ أَحَدًا مِمَّنْ أَسْلَمَ عَلَى الْبَحْثِ عَنْ
ذَلِكَ بَلْ كَانَ يُقَرُّهُمْ عَلَى مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا انفِكَاءَ لَهُمْ عَنْهُ، وَمَا زَالَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ
وَالْعُلَمَاءُ الْمُتَهَدُّونَ يُقَرُّونَ عَلَى ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ الْعَامَّةَ لَمْ يَقِفُوا عَلَى الْحَقِّ فِيهِ وَلَمْ
يَهْتَدُوا إِلَيْهِ، وَأَجْرُوا عَلَيْهِمْ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ مِنْ جَوَازِ الْمُنَاكَحَاتِ وَالتَّوَارِثِ
وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ إِذَا مَاتُوا وَتَغْسِيلِهِمْ وَتَكْفِينِهِمْ وَحَمْلِهِمْ وَدَفْنِهِمْ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ،
وَلَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَاحَهُمْ بِذَلِكَ وَعَفَا عَنْهُ لَعُسِرَ الْإِنْفِصَالُ مِنْهُ وَلَمَّا أُجْرِيَتْ عَلَيْهِمْ

(١) السيف الصقيل، ص ٢٥.

أَحْكَامُ الْمُسْلِمِينَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِلَهَ يَحِلُّ فِي شَيْءٍ مِنْ أَجْسَادِ النَّاسِ أَوْ غَيْرِهِمْ فَهُوَ كَافِرٌ لِأَنَّ الشَّرْعَ إِنَّمَا عَفَا عَنْ الْمُجَسِّمَةِ لِغَلَبَةِ التَّجَسُّمِ عَلَى النَّاسِ فَإِنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَوْجُودًا فِي غَيْرِ جِهَةٍ بِخِلَافِ الْحُلُولِ فَإِنَّهُ لَا يَعُمُّ الْإِتِّلَاءُ بِهِ وَلَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبٍ عَاقِلٍ وَلَا يُعْفَى عَنْهُ" (١). اهـ

قال الترمذي في جامعه ٣٠٧٤ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قَالَ حَمَّادٌ: هَكَذَا، وَأَمْسَكَ سُلَيْمَانُ بِطَرْفِ إِبْهَامِهِ عَلَى أَنْمَلَةٍ إِصْبَعِهِ الْيُمْنَى قَالَ: فَسَاخَ الْجَبَلُ ﴿وَحَزَمَ مُوسَى صَعِقًا﴾: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ.

٦- [قال الكوثري معلقا على هذا الحديث: وإبداء بعضه للطور بمعنى بعض آية، على أنه مما أُدْخِلَ على حماد بن سلمة، تعالى الله سبحانه عن الأبعاض والأجزاء رغم أنف المجسمة] (٢).

قلت: حماد بن سلمة وإن كان يخطئ في الرواية أحيانا إلا أنه أثبت راو عن ثابت البناني بمعنى أنه كان من تلاميذ ثابت الخاصين الذي اهتم بأحاديثه وحفظها أكثر من غيره.

(١) قواعد الأحكام (١/٢٠٢).

(٢) السيف الصقيل، ص ٤٩.

قال الإمام مسلم: "اجتماع أهل الحديث من علمائهم على أن أثبت الناس في ثابت حماد بن سلمه، كذلك قال يحيى القطان، ويحيى بن معين، أحمد بن حنبل، وغيرهم من أهل المعرفة"^(١). اهـ

فمخرج الإعلال بالإدخال على حماد من غير بيّنة مردود، وليس لنا حديث الترمذي فقط.

فقد قال أيضا عبدالله في السنة: ٤٣٥ - حدثني أحمد بن منيع، نا عباد بن عباد، عن يزيد بن حازم، عن عكرمة: أنه كان يقرأ هذا الحرف ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال: كان حجرا أصم، فلما تجلى له صار تلا ترابا دكا من الدكوات.

قلت: قوله (فلما تجلى له) دليل على أنه يعني تجلى الله تعالى، فلو كان يعني آياته لقال (تجلت له).

وقال: ٤٣٤ - حدثني أبو معمر، نا عمرو بن محمد العنقزي، نا أسباط بن نصر، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «تجلى مثل الخنصر» وأشار أبو معمر بأصبعه يعني قوله عز وجل ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾

ثم إن كان هو مدخل على حماد بن سلمة الإمام فمجرد تفسيره له بقول سليمان بن حرب: قَالَ حَمَّادٌ: هَكَذَا، وَأَمْسَكَ سُلَيْمَانُ بِطَرْفِ إِبْهَامِهِ عَلَى أَنْمَلَةٍ إِصْبَعِهِ الْيُمْنَى.

يدل على عدم امتناعه عن الله عنده!

(١) كتاب التمييز، ص ١٥٢.

والحديث الأخير أيضا فسرهُ أبو معمر شيخ الإمام عبدالله بن أحمد رحمه الله بمثل ما فسرهُ حماد بن سلمة، وحماد بن سلمة لوحده كان محنة في زمانه في السنة، وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي عَثْمَانَ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ: "إِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا يَقَعُ فِي عَكْرَمَةٍ وَفِي حَمَادٍ بَنِ سَلْمَةَ فَاتَّهَمَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ"^(١). اهـ

وقال عبدالله في السنة: الآيات التي يحتج بها على الجهمية من القرآن وجدت في كتاب أبي بخط يده مما يحتج به على الجهمية من القرآن الكريم... وفي الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝١٤٤﴾. اهـ

فلو كان التجلي لآياته سبحانه كما يدعي الكوثري فبأي شيء يحتج الإمام أحمد على الجهمية في هذه الآية؟!

٧- في إنكار صفة الثقل وامتلاء العرش به سبحانه وأطيط العرش منه تعالى [قال الكوثري: وروى الحشوية في تفسيره -تفسير الاستواء- ألفاظا وهي (ممتلىء به) و(مقللة به) و(مقللة به موقرة) و(يئط به من ثقل الذات) وركبوا لها أسانيد فمن أثبت لله سبحانه ثقلا لم يدع ما لم يفه به من التجسيم]^(٢).

(١) تهذيب الكمال (٢٠/٢٨٨).

(٢) السيف الصقيل، ص ٩٩.

قلت:

قال عبد الله في السنة ٥٧٠: - حدثني أبي رحمه الله، قال: ثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن عمر رضي الله عنه، قال: إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيظ كأطيظ الرحل الجديد.

وقال الذهبي في كتاب: "ورواه أيضا عن أبيه، حدثنا وكيع بحديث إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن عمر "إذا جلس الرب على الكرسي" فاقشعر رجل سماه أبي عند وكيع، فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون [بهذه الأحاديث] ولا ينكرونها^(١). اهـ

وقد روي هذا الحديث مرفوعا، قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن ذلك حديث عبد الله بن خليفة المشهور الذي يروى عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختاره، وطائفة من أهل الحديث ترده لاضطرابه كما فعل ذلك أبو بكر الإسماعيلي وابن الجوزي وغيرهم لكن أكثر أهل السنة قبلوه.

وفيه قال: إن عرشه أو كرسيه وسع السموات والأرض، وإنه يجلس عليه فما يفضل منه قدر أربعة أصابع أو فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع وإنه ليئط به أطيظ الرحل الجديد براكبه.

و لفظ الأطيظ قد جاء في حديث جبير بن مطعم الذي رواه أبو داود في السنن وابن عساكر عمل فيه جزءا وجعل عمدة الطعن في ابن إسحاق والحديث

(١) العرش، ص ١٥٥.

قد رواه علماء السنة كأحمد و أبي داود و غيرهما و ليس فيه إلا ما له شاهد من رواية أخرى ولفظ الأطيع قد جاء في غيره.

وحديث ابن خليفة رواه الإمام أحمد و غيره مختصراً و ذكر أنه حدث به وكيع... إلخ^(١).

وروي الأطيع أيضا عن غير عمر رضي الله عنه.

قال عبدالله في السنة: ٥١٠ - حدثني أبي، نا عبد الصمد، نا أبي، نا محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن عمارة بن عمير، عن أبي موسى، قال: "الكرسي موضع القدمين وله أطيع كأطيع الرحل".

و الأطيع هو: نقيض صوت المحامل والرحال إذا ثقل عليها الركبان. وأط الرحل والنسع يئط أطاً وأطيظاً: صَوَّتَ، وكذلك كل شيء أشبه صوت الرحل الجديد^(٢).

والأطيع الحاصل في العرش ناتج عن ثقل الرحمن سبحانه وتعالى عليه.

وأما صفة الثقل وامتلاء العرش:

٩٣٧ - حدثني أبي، نا وكيع، نا سفيان، عن جابر، عن عبد الله بن يحيى، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال: ممتلئ به.

(١) مجموع الفتاوى (٤٣٥/١٦).

(٢) انظر: لسان العرب (٩٢/١).

٩٣٨ - حدثني أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم بن معمر، نا وكيع، عن سفيان، عن خفيف، عن عكرمة، ﴿السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ﴾ قال: مثقلة به.

٩٣٩ - حدثني أبي قال: أُملي علينا وكيع ببغداد عن سفيان، عن عكرمة، ﴿السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ﴾ قال: ممتلى به.

٩٤٠ - حدثني أبي، نا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، ﴿السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ﴾ قال: مثقل به.

٩٤١ - حدثني عبيد الله بن عمر القواريري، نا يزيد بن زريع، نا أبو رجاء، قال: سمعت الحسن، ﴿السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ﴾ قال: مثقلة به موقرة.

قلت: وذكره البخاري رحمه الله عن مجاهد: مثقلة به. اه بصيغة الجزم.

وأما كلامه اللاحق عن كون هذه الأحاديث مدخلة في شريعة الإسلام فمن جنس كلام الطاعنين في السنة المدعين أنها كلها وضعت اعتبارا وخدمة لأهواء المذاهب حذو القذة بالقذة

٨- في إنكار صفة المجيء:

[قال الكوثري: قال ابن حزم: وروينا عن الإمام أحمد في قوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ إنها معناه وجاء ثوابه. كقوله تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ والقرآن يفسر بعضه بعضا. وهكذا نقله ابن الجوزي في زاد المسير^(١).

(١) السيف الصقيل، ص ١٠٠.

قلت: النقل أبتز كصاحبه.

الإمام أحمد النصوص عنه تضج بإثبات الصفات ينقلها عنه ابنه عبد الله في كتابه السنة يعني من ليس بينه وبين أبيه واسطة، ليست كنقول مطلقة على عواهنها تخالف المثات من نصوص وفتاوى الإمام رحمه الله، فهذه الطريقة التي سلكها من السخف والدناءة بمكان.

النصوص عن أحمد في إثبات الصفات وإكفار الجهمية والرد عليهم أكثر من أن تجمع وأكثر من أن تخفى على أحد، فالسنة له والسنة لعبد الله والسنة للخلال والسنة لحرب والسنة لغلام الخلال وكتب العقيدة وحتى كتب المذهب وكتب أبي يعلى كلها تذكر نصوص أحمد في إثبات الصفات حيث لا يمكن دفعها أبداً إلا بمكابرة الحس والعقل والانتقال للقرمطة والسفسطة، فلم تترك كل نصوصه ويتمسك بمثل هذا؟

وإذا كانت روايات حنبل رحمه الله تعالى - وهو حافظ ولكنه يخطئ كما نص عليه غير واحد - تعجب هؤلاء فلتسخن أعينهم بهذا:

١- قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول:

قال الله لموسى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ حكاية الله عن نفسه أنه يسمع ويبصر، ولا تكن رؤية إلا ببصر، كما وصف نفسه يسمع ويرى هذا القرآن، فمن رد هذا فقد رد على الله أمره وقوله، وأنكر التنزيل.

٢- قال حنبل: قال أبو عبد الله: قال لي إسحاق (يعنى في المحنة) لما قرأ الكتاب: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

فقلت: وهو السميع البصير.

فقال: ما أردت بهذا؟

قلت: القرآن، صفة من صفات الله وصف بها نفسه ولا ننكر ذلك ولا نرده
وقول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَتَّابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ فثبت
أن الله سميع بصير.

وقال: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِّرَ وَأَخْفَى﴾.

وقال: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

فمن رد كتاب الله، ورد الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،
واخترع مقالة عن نفسه، وتأول برأيه، فقد خسر خسرانا مبينا. صفاته منه، لا
نتعدى القرآن

٣- قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول:

حدثت يحيى بن سعيد، حديث عبد الله: «إن الله تبارك وتعالى يضع
السموات على إصبع»، قال: فجعل يحيى يحكى هذا، فيقول بإصبعه هكذا، حتى
أتى على آخرها، وأرانا كيف يضع يحيى الخنصر، ثم التى تليها، إصبع إصبع،
حتى عقد لنا حنبل ثلاثين.

٤- قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لم يكلم موسى
فهو كافر بالله، وكذب بالقرآن، ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره،
يستتاب من هذه المقالة، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

٥- قال حنبل: سمعت أبا عبد الله قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فأثبت الكلام لموسى كرامة منه لموسى عليه السلام، ثم قال بعده: ﴿تَكْلِيمًا﴾.

٦- قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: يكلم الله عبده يوم القيامة؟ قال: نعم، فمن يقضي بين الخلق إلا الله، يكلم عبده ويسأله. الله عز وجل متكلماً، لم يزل متكلماً لم يزل يأمر بما يشاء، له الحكم، ليس له عدل، ولا مثل، كيف شاء، وأنى شاء.

٧- قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: نعبد الله بصفاته كما وصف نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث، ونقول كما قال.

ونصفه كما وصف نفسه لا نتعدى ذلك. نؤمن بالقرآن كله، محكمه ومتشابهه. ولا نزيل عنه تعالى صفة بشاعة شُنت. ولا نزيل ما وصف به نفسه من: كلام، ونزول، وخلوه بعبده يوم القيامة، ووضع كنفه عليه.

وهذا كله يدل على أن الله يُرى بالآخرة. والتحديد في هذا بدعة، والتسليم لله بأمره.

ولم يزل الله عزوجل متكلماً، عالماً، غفوراً، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب.

فهذه صفات الله، وصف بها نفسه، لا تدفع، ولا ترد.

وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ أَسْلَمَ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ هذه صفات الله عزوجل.

وهو على العرش بلا حد.

وقال: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ كيف شاء، المشيئة له والاستطاعة.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو كما وصف نفسه، سميع بصير بلا حد ولا تقدير.

قلت: قوله هنا: [بلا حد] يعني بلا حد مخلوق يحيط به سبحانه وتعالى، والحد بمعنى بائن من خلقه أثبتته جماعة من السلف ومنهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وقد جمع الحافظ الدثني جزءاً في ذلك مطبوع بتحقيق عادل آل حمدان، وذكر الحد المذكور في كتب أهل السنة والمراد منه معنى بائن من خلقه.

٨- قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: المشبهة ما يقولون؟

قال: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، فقد شبه الله بخلقه، وهذا كلام سوء والكلام في هذا لا أحبه، وأسماءه وصفاته غير مخلوقه، ونعوذ بالله من الزلل والارتباب والشك، إنه على كل شيء قدير.

٩ - قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول:

يضحك الله عز وجل، ولا نعرف كيف ذلك، إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن.

١٠ - قال حنبل: سألت أبا عبد الله: عن أحاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا».

فقال: تؤمن بها ونصدق بها.

تلك عشرة كاملة معاشر الجهمية فإذا تنكرون منها، وبماذا تؤمنون وأنتم تمنعون من هذا الذي رواه حنبل كله! وتعدونه كفراً وتشبيهاً!! كإثبات الصفات، والاستدلال بمجرد النصوص، والإشارة الحسية، وتكفير من خالف ذلك!

[ذكر هذه الآثار الحافظ أبو بكر عبد العزيز المشهور بـغلام الخلال في جزء

السنة - مطبوع في مقدمة زاد المسافر]^(١). اهـ

قال الإمام عبد الله بن أحمد في السنة: سئل عما جحدت الجهمية الضلال من رؤية الرب تعالى يوم القيامة رأيت أبي رحمه الله يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤية ويذهب إليها وجمعها أبي رحمه الله في كتاب وحدثنا بها. اهـ

(١) ما بين القوسين منقول من مقال للأخ عبد الله التميمي منشور على الشبكة

وقال: سئل عما روي في الكرسي وجلوس الرب عز وجل عليه رأيت أبي رحمه الله يصحح هذه الأحاديث أحاديث الرؤية ويذهب إليها وجمعها في كتاب وحدثنا بها. اهـ

وروى رحمه الله تحت هذين الفصلين آثارا تشيب منها مفارق الجهمية في إثبات الصفات.

قال حرب الكرمانى في عقيدته المشهورة التي نقل إجماع أهل العلم عليها: وينزل -الله- كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء. اهـ

قلت: والذي ينزل كل ليلة ما الذي يمنعه أن ينزل يوم القيامة؟!

وحرب الكرمانى تلميذ الإمام أحمد وله كتاب مسائل عنه، قال الذهبي: "كان حرب من أوعية العلم حمل عن أحمد وإسحاق، وكان عالم كرمان في عصره، يُذكر مع الأثرم والمروذي، ارتحل إليه الخلال وأكثر عنه" (١). اهـ

والقرآن يفسر بعضه بعضا نعم فالله سبحانه يقول ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ فغاير الله سبحانه بين إتيانه وإتيان آياته وهذا نص واضح في إثبات إتيانه سبحانه حقيقة.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني: سمعت الحاكم أبا عبد الله، يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري، يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب، يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الله الرباطي، يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق بن إبراهيم -يعني ابن راهويه-

(١) العلو (٢/١١٧٩).

فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض قواد عبدالله: يا أبا يعقوب! أترعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم، قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: أثبتته فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبتته فوق، فقال له إسحاق: قال الله عز وجل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، فقال له الأمير عبدالله بن طاهر: يا أبا يعقوب! هذا يوم القيامة! فقال له إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟. اه عقيدة السلف أصحاب الحديث.

٩- في إنكار القدمين:

[قال الكوثري: ولم يثبت عن القدمين حديث مرفوع، وقول ابن عباس لإفادة أن الكرسي صغير بالنسبة إلى العرش ككرسي قد وضع لقدمي القاعد على السرير كما قال ابن الجوزي]^(١).

قلت يعني ما رواه عبدالله في السنة.

٥٠٨ - حدثني أبي، نا وكيع، عن سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره".

قلت: ولا أدري من أين جاء ابن الجوزي بهذا التأويل للأثر، ولا أدري أين وجد هذه المقارنة في الأحجام!

(١) السيف الصقيل، ص ٤٨.

قال عبدالله في السنة: ٥١٠ - حدثني أبي، نا عبد الصمد، نا أبي، نا محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن عمارة بن عمير، عن أبي موسى، قال: الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل.

وهذا نص لا يدخل تحت تأويل ابن الجوزي! وظاهر مراد صاحبه من إثبات صفة القدمين لله جل في علاه.

في ختام هذا الفصل أود التنبيه على فرية اخترعها هؤلاء الحيارى أتراب السبكي وأخذانه وصدقها من بعدهم على العظيم ابن تيمية رحمه الله، حيث أنهم ادعوا أنه استتيب من عقيدته (العقيدة السلفية) وتاب منها وانتحل عقد الأشعري.

وعقد الكوثري في الحاشية^(١) فصلا عنون له بـ: صيغة استتابة ابن تيمية في الاستواء والصوت وخطوط كبار العلماء ذكر فيها هذا الكلام.

وشيخ الإسلام بنفسه رحمه الله رد على هذه الفرية، فقد قال في المناظرة على الواسطية: فَقُلْتُ: أَمَّا الْإِعْتِقَادُ: فَلَا يُؤْخَذُ عَنِّي وَلَا عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي؛ بَلْ يُؤْخَذُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ فَمَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ وَجَبَ اعْتِقَادُهُ وَكَذَلِكَ مَا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِثْلَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَأَمَّا

الْكُتُبُ فَمَا كَتَبْتُ إِلَى أَحَدٍ كِتَابًا ابْتِدَاءً أَدْعُوهُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنِّي كَتَبْتُ أَجْوِبَةً أَجَبْتُ بِهَا مَنْ يَسْأَلُنِي: مِنْ أَهْلِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَكَانَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ زُورَ عَلَيَّ كِتَابٌ إِلَى الْأَمِيرِ رُكْنِ الدِّينِ الْجَاشَنكِرِ أَسْتَاذِ دَارِ السُّلْطَانِ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ عَقِيدَةٍ مُحَرَّفَةٍ وَلَمْ أَعْلَمْ بِحَقِيقَتِهِ؛ لَكِنْ عَلِمْتُ أَنَّهُ مَكْذُوبٌ.

ثُمَّ قُلْتُ: لِلْأَمِيرِ وَالْحَاضِرِينَ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ أَقْوَامًا يَكْذِبُونَ عَلَيَّ؛ كَمَا قَدْ كَذَّبُوا عَلَيَّ غَيْرَ مَرَّةٍ. وَإِنْ أُمْلَيْتِ الْإِعْتِقَادَ مِنْ حِفْظِي: رَبِّمَا يَقُولُونَ كَتَمَ بَعْضُهُ؛ أَوْ دَاهَنَ وَدَارَى؛ فَأَنَا أَحْضَرُ عَقِيدَةٍ مَكْتُوبَةٍ؛ مِنْ نَحْوِ سَبْعِ سِنِينَ قَبْلَ مَجِيءِ التَّرِ إِلَى الشَّامِ^(١). اهـ

وقال رحمه الله: طلبت منهم نسخها فلم يوافقوا، وتأملتها فوجدتها مكذوبة عليّ إلا كلمة من أنه على العرش حقيقة.. قلت: ليس هذا كلامي ولا في خطي^(٢). اهـ

فقلة الورع والكذب والبتير سياء تصانيف القوم، والله الموعِد.

هل كان أئمة السلف والصحابة مفوضة؟!!

فيزعم الأشاعرة أن مذهب السلف في صفات الله سبحانه وتعالى هو الإيَّان باللفظ وتفويض المعنى مع اعتقاد استحالة ظواهر النصوص.

(١) مجموع الفتاوى (١٦١/٣-١٦٢).

(٢) التسعينية (١١٠/١).

قال السيوطي: "من المتشابه آيات الصفات... وجهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيها له - تعالى - عن حقيقتها" (١). اهـ

قال الكوثري: ولا سبيل إلى استنكار ما كان عليه السلف الصالح من إجراء من إجراء ما ورد في الكتاب والسنة المشهورة في صفات الله سبحانه على اللسان مع القول بتنزيه الله سبحانه تنزيها عاما بموجب قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) بدون خوض في المعنى... اهـ (٢). اهـ

ويصرحون عن هذا بقولهم: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

وظن السوء هذا إنما سرى إلى نفوسهم لما اعتقدوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه فيهما، بمنزلة الأमीين الذين قال الله فيهم ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾، وإن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات!

وأن النبي صلى الله عليه وسلم الذي ما بقي خيرا إلا دل الأمة عليه، وما بقي شرا إلا حذر الأمة منه، والذي علم أمته حتى آداب النوم وآداب قضاء الحاجة، وآداب الخروج والدخول والانتعال والتطهر ترك باب الإيمان بالله

(١) الإتيان في علوم القرآن (٢ / ١٠).

(٢) السيف الصقيل، ص ٢١.

والعلم به ملتبسا غامضا، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنی والصفات العليا، وما يجوز عليه، وما يمتنع.

والحقيقة أن من أنصف نفسه وابتغى سلامتها عند الله ونظر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ثم آثار السلف رآها تتوارد على إثبات الصفات إثباتا حقيقيا لا مرية فيه وأن ليس للمعطلة من تلکم المشكاة إلا ما يسوؤهم.

وسأذكر في هذا المقال إن شاء الله نقولات عن السلف الصالح -زيادة على ما ذكرته في المقالات السابقة- أبين فيها صدق دعواي:

١- قال عبدالله في السنة: ٥١٨ - حدثني أحمد بن سعيد الدارمي، قال: سمعت أبي، سمعت أبا عصمة، وسأله رجل عن الله، في السماء هو؟ فحدث بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: حين سأل الأمة أين الله؟ قالت في السماء، قال: فمن أنا؟ قالت: رسول الله قال: أعتقها فإنها مؤمنة، قال: سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنة أن عرفت أن الله تعالى في السماء.

٢- وقال: ٥٠٧ - حدثني أبي رحمه الله، قال: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن عمر رضي الله عنه قال: إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيظ كأطيظ الرحل الجديد.

٣- وقال: حدثني أحمد بن سعيد أبو جعفر الدارمي، قال: سمعت أبي يقول: سمعت خارجة، يقول ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وهل يكون الاستواء إلا بجلوس.

٤- وقال: ٤٢٢ - حدثني أبي رحمه الله، نا يحيى بن سعيد، عن سفيان، حدثني منصور، وسليمان، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله رضي الله عنه، أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا محمد، إن الله يمسك السماوات على أصبع والأرضين على أصبع، والثرى على أصبع، والجبال على أصبع، والخلائق على أصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، وقرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ قال أبي: قال يحيى: قال فضيل بن عياض: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له.

٥- وقال: ٥٠٨ - حدثني أبي، نا وكيع، عن سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره.

٦- وقال: ٤٩١ - حدثني أبي رحمه الله، نا يزيد بن هارون، أنا الجريري، عن أبي عطف، قال: كتب الله التوراة لموسى عليه السلام بيده وهو مسند ظهره إلى الصخرة في ألواح من در فسمع صريف القلم ليس بينه وبينه إلا الحجاب.

٧- ٤٠٥ - قال أبو الحسن: سمعت عبد الله يقول سمعت بعض المشايخ يقول سألوا وكيعا عن أحاديث الرؤية فحدث بها، ثم قال: غموا الجهمية بهذه الأحاديث، مرتين.

٨- قال عبدالله بن الزبير الحميدي رحمه الله: والإقرار بالرؤية بعد الموت، وما نطق به القرآن والحديث، مثل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، ومثل

﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتٌ يَمِينِهِ﴾، وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد عليه ولا نفسره، نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، ونقول ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ومن زعم غير هذا فهو معطل جهمي. اهـ

قلت: الدليل على أنه أراد إثبات الصفة حقيقة أنه يُرد على المعطلة الجهمية، ولو كان يفوض فالمفوض معطل لحقيقة الصفة على كلام السيوطي الذي نقلته آنفا.

٩- قال إسحاق بن راهويه رحمه الله: وإن الله تبارك وتعالى وصف نفسه في كتابه بصفات استغنى الخلق أن يصفوه بغير ما وصف به نفسه، من ذلك قوله ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، وقوله ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِّنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾، وآيات مثله يصف العرش، وقد ثبتت الروايات في العرش، وأعلى شيء فيه وأثبتته قوله الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

وأجمع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء أسفل الأرض السابعة، وفي قعور البحار، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، وفي كل موضع، كما يعلم ما في السموات السبع، وما دون العرش، أحاط بكل شيء علما، ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه، لا يعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره.

وينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا كما شاء وكيف شاء، وليس في صفة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا»... ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الخالق بصفاته وفعاله توهم ما يجوز التفكير والنظر في أمر

المخلوقين، وذلك أنه يمكن أن يكون موصوفاً بالنزول كل ليلة إذا مضى ثلثها إلى السماء الدنيا كما شاء، ولا يُسأل: كيف نزوله؟ لأنه الخالق يصنع ما شاء كما شاء^(١).

١٠- عن يحيى بن عون، قال: دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، فقال: ما هذا القلق؟ قال له: الموت.

قال له سحنون: أأست مصدقاً بالرسول، والبعث، والحساب، والجنة والنار، وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يرى يوم القيامة وأنه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا؟ قال: إي والله.

فقال: مت إذا شئت، مت إذا شئت^(٢). اهـ

١١- قال العباس بن موسى بن مشكويه: وأن أهل الجنة يرون الله عز وجل بأبصارهم، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون^(٣). اهـ

١٢- قال علي بن المديني رحمه الله: وأن الله عز وجل يكلم العباد يوم القيامة ويحاسبهم ليس بينه وبينهم ترجمان، الإيذان بذلك والتصديق^(٤). اهـ

(١) الجامع ٢٩٧.

(٢) السير (٦٧/١٢)، عن طريق الجامع للشيخ عادل ٣٣٨.

(٣) الإبانة الكبرى، عن طريق كتاب الجامع ٤٣٣.

(٤) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٦٥/٢) ومن طريق الجامع ٤٤١.

١٣- قال محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله: وأن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ لقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ﴾، قال ابن عيينة: فين الله الخلق من الأمر لقوله تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۗ﴾^(١). اهـ

١٤- قال إسماعيل المزني الشافعي في عقيدته: عالٍ على عرشه في مجده بذاته، وهو دان بعلمه من خلقه... ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته... والقرآن كلام الله عز وجل، ومن لدنه، وليس بمخلوق فيبيد... وأهل الجنة يومئذ في الجنة يتنعمون، وبصنوف اللذات يتلذذون، وبأفضل الكرامة يجبرون، فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون، لا يمارون في النظر إليه بذاته، ولا يشكون، فوجههم إليه بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضلله إليه ناظرة، في نعيم دائم مقيم ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۗ﴾. اهـ السنة للمزني وهي عقيدة مشهورة بين طلاب العلم.

١٥- قال أبو بكر المروزي الحنبلي: فالله لم يخل من العلم والكلام وليس من الخلق، لأنه لم يخل منها، فالقرآن كلام الله، ومن علم الله، وليس بمخلوق، ولم يزل الله عالما متكلمًا.. وقد بين الله - ذلك أيضا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إذ أخبر أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم يوم القيامة، ويكلمونه، ويسألهم، ويضحك إليهم، وأنهم يعاينون ذلك منه، وينظرون إليه، ويسمعون منه^(٢). اهـ

(١) تاريخ دمشق (٥٢/٥٨)، من طريق الجامع ٤٥٢.

(٢) السنة للخلال ١٩١٠، عن طريق الجامع ٥٥١.

قلت: تبين مما سبق أن السلف الكرام رضوان الله عليهم كانوا مثبتين للصفات حقيقة، والنصوص في هذا لا تدخل في الحصر.

وأما استدلال المفوضة والأشعرية على ضلالهم ببعض ما ورد عن السلف في كلامهم عن الصفات مثل قولهم: أمروها كما جاءت بلا كيف. فيظنون أن مقصد السلف بهذا هو التفويض.

وهيهات!

إذ أن العبارة نفسها ترد على المفوضة فلو لم يكن للصفة معنى حقيقيا معلوما لما قال: بلا كيف. بعد قوله: أمروها.

فأي شخص سيفهم من هذا السياق أن المطلوب هو إثبات المعنى الظاهر مع تفويض علم الكيفية.

فمثلا قول النبي صلى الله عليه وسلم: يضحك ربنا.

نعلم أن الضحك في الحديث هو الضحك الذي تفهمه العرب من لغتها، ولكن كيف يضحك ربنا؟؟ نقول: قد علمنا أنه يضحك لأنه أخبرنا، ولا نعلم كيف يضحك لأنه لم يخبرنا عن الكيفية.

فنقف حيث وقف الخبر.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: هذه الأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفات والرؤية حقٌّ نؤمن بها ولا نفسرها إلا ما فُسِّر لنا من فوق^(١). اهـ

قال ابن تيمية رحمه الله: وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي، قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث، فقالوا: أمروها كما جاءت. وروى أيضا عن الوليد بن مسلم، قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: أمروها كما جاءت، وفي رواية: فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

فقولهم رضي الله عنهم: أمروها كما جاءت. رد على المعطلة، وقولهم: بلا كيف رد على الممثلة، والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم^(٢). اهـ
وليعلم أن غالب من ورد عنه مثل هذا الكلام قد ورد عنه كلام آخر فيه تصريح بإثبات الصفات.

وقد يتمسك المفوضة بما روي عن الإمام أحمد في سياق كلامه عن الصفات، قال: نؤمن بها ونصدقها لا كيف ولا معنى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وَالْمُنْتَسِبُونَ إِلَى السُّنَّةِ مِنَ الْحَنَابِلَةِ وَغَيْرِهِمُ الَّذِينَ جَعَلُوا لَفْظَ التَّأْوِيلِ يَعْمُ الْقِسْمَيْنِ يَتَمَسَّكُونَ بِمَا يَجِدُونَهُ فِي كَلَامِ الْأُئِمَّةِ فِي الْمُتَشَابِهِ مِثْلَ قَوْلِ أَحْمَدَ فِي رِوَايَةِ حَنْبَلٍ وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى ظَنُّوا أَنَّ مُرَادَهُ. أَنَّا لَا

(١) كتاب الوحيد لابن منده، ص ٨٩٧، عن طريق التنبيهات الجليلة لعادل آل حمدان.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٩/٥).

نَعْرِفُ مَعْنَاهَا. وَكَلَامُ أَحْمَدَ صَرِيحٌ بِخِلَافِ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَقَدْ بَيَّنَّ أَنَّهُ إِنَّمَا يُنْكِرُ تَأْوِيلَاتِ الْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ الَّذِينَ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ وَصَنَّفَ كِتَابَهُ فِي "الرَّدِّ عَلَى الزَّانِدَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ" فِيمَا أَنْكَرْتَهُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَتَأَوَّلَتْهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ مُرَادِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُمْ إِذَا تَأَوَّلُوهُ يَقُولُونَ: مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ كَذَا وَالْمُكَيِّفُونَ يَشْتُونَ كَيْفِيَّةً. يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ عَلِمُوا كَيْفِيَّةَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ. فَنفَى أَحْمَدُ قَوْلَ هَؤُلَاءِ وَقَوْلَ هَؤُلَاءِ: قَوْلَ الْمُكَيِّفَةِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الْكَيْفِيَّةَ وَقَوْلَ الْمُحَرِّفَةِ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ مَعْنَاهُ كَذَا وَكَذَا" (١). اهـ

قال عبدالله بن الإمام أحمد رحمه الله: ٤٣٨ - حدثني أبو معمر، نا عباد بن العوام، قال: قدم علينا شريك فسألناه عن الحديث، «إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان» قلنا: إن قوما ينكرون هذه الأحاديث، قال: فما يقولون؟ قلنا: يطعنون فيها، فقال: إن الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرآن وبأن الصلوات خمس وبحج البيت وبصوم رمضان فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث.

وأخيرا هؤلاء السكارى متناقضون تناقضا قبيحا واضحا.

قال ابن القيم رحمه الله: "ولازم قولهم إن الرسول كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه ثم تناقضوا أقبح تناقض فقالوا تجري على ظواهرها وتأويلها مما يخالف الظواهر باطل ومع ذلك فلها تأويل لا يعملها إلا الله فكيف يشتون لها تأويلا

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٤/١٧).

ويقولون تجر على ظواهرها ويقولون الظاهر منها غير مراد والرب منفرد بعلم تأويلها وهل في التناقض أقبح من هذا^(١). اهـ

وذكر رحمه الله مناظرة جرت بين عبدالله بن تيمية أخى شيخ الإسلام رحمهما الله وبين جهمي معطل في بيان أنه مع كمال علم المتكلم وفصاحته وبيانه ونصحه يمتنع عليه أن يريد بكلامه خلاف ظاهره وحقيقته، وعدم البيان في أهم الأمور، وما تشتد الحاجة إلى بيانه، فقال رحمه الله:

مناظرة جرت بين جهمي معطل وسني مثبت حدثني بمضمونها شيخنا عبدالله بن تيمية رحمه الله أنه جمعه وبعض الجهمية مجلس، فقال الشيخ: قد تطابقت نصوص الكتاب والسنة والآثار على إثبات الصفات لله وتنوعت دلالتها عليها أنواعا توجب العلم الضروري بثبوتها وإرادة المتكلم اعتقاد ما دلت عليه والقرآن مملوء من ذكر الصفات والسنة ناطقة بمثل ما نطق به القرآن مقررة له مصدقة له مشتملة على زيادة في الإثبات فتارة: بذكر الاسم المشتمل على الصفة كالسميع البصير العليم القدير العزيز الحكيم، وتارة بذكر المصدر وهو الوصف الذي اشتقت منه تلك الصفة كقوله ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾، وقوله ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾، وقوله ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وقوله في الحديث الصحيح: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». وقوله في دعاء الاستخارة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ». وقوله: «أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ». وقول عائشة: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. ونحوه وتارة يكون بذكر حكم تلك

(١) الصواعق المرسلة (١/٤٢٣).

الصفة كقوله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ و ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، وقوله ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾، وقوله ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ونظائر ذلك.

ويصرح في الفوقية بلفظها الخاص، وبلفظ العلو والاستواء، وأنه في السماء، وأنه ذو المعارج، وأنه رفيع الدرجات و وأنه تعرج إليه الملائكة وتنزل من عنده، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأن المؤمنين يرونه بأبصارهم عيانا من فوقهم إلى أضعاف أضعاف ذلك مما لو جمعت النصوص والآثار فيه لم تنقص عن نصوص الأحكام وآثارها.

ومن أبين المحال وأوضح الضلال حمل ذلك كله على خلاف حقيقته وظاهره ودعوى المجاز فيه والاستعارة وأن الحق في أقوال النفاة المعطلين وأن تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص إذ يلزم من ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بد منها أو من بعضها وهي:

١ - القدح في علم المتكلم بها.

٢ - أو في بيانه.

٣ - أو في نصحه.

وتقرير ذلك أن يقال: إما أن يكون المتكلم بهذه النصوص عالما أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين أو لا يعلم ذلك.

فإن لم يعلم ذلك والحق فيها كان ذلك قدحا في علمه، وإن كان عالما أن الحق فيها فلا يخلو: إما أن يكون قادرا على التعبير بعباراتهم التي هي تنزيه لله بزعمهم عن التشبيه والتمثيل والتجسيم وأنه لا يعرف الله من لم ينزهه بها، أو لا يكون قادرا على تلك العبارات. فإن لم يكن قادرا على التعبير بذلك لزم القدح في

فصاحته وكان ورثة الصابئة وأفراخ الفلاسفة وأوقاح المعتزلة والجهمية وتلامذة الملاحدة أفصح منه وأحسن بيانا وتعبيرا عن الحق، وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة أوليائه وأعداؤه وموافقوه ومخالفوه فإن مخالفيه لم يشكوا في أنه أفصح الخلق وأقدرهم على حسن التعبير بما يطابق المعنى ويخلصه من اللبس والإشكال

وإن كان قادرا على ذلك ولم يتكلم به وتكلم دائما بخلافه وما يناقضه كان ذلك قدحا في نصحه، وقد وصف الله رسله بكمال النصح والبيان فقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، وأخبر عن رسله بأنهم أنصح الناس لأئمتهم، فمع النصح والبيان والمعرفة التامة كيف يكون مذهب النفاة المعطلة أصحاب التحريف هو الصواب وقول أهل الإثبات أتباع القرآن والسنة باطلا، هذا مضمون المناظرة فقال له: الجهمي انزل بنا إلى الوطاة.

قلت له: ما أراد بذلك؟ قال: أراد أنك خاطبتني من فوق وتجوّهت علي بجاه لا يمكنني مقاومته، فانزل بنا إلى مباحث الفضلاء وقواعد النظائر أو نحو هذا من الكلام.

فليتدبر الناصح لنفسه الموقن بأن الله لا بد سائله عما أجاب به رسوله في هذا المقام وليتحيز بعد إلى أين شاء، فلم يكن الله ليجمع بين النفاة المعطلين المحرفين وبين أنصاره وأنصار رسوله وكتابه إلا جمع امتحان وابتلاء كما جمع بين الرسل وأعدائهم في هذه الدار^(١). اهـ

(١) الصواعق المرسلة (١/٣٢٠-٣٢٦).

تسلسل الحوادث

ربي يسر وأعن برحمتك يا كريم

قال الكوثري: والناظم المسكين قائل بحدوث لا أول لها انخداعا منه بشبه أوردها الفلاسفة في بحث الحدوث غير متصور اتصاف الله سبحانه بصفاته العليا قبل صدور الأفعال منه تعالى واستنكار شيخه (كان الله ولم يكن معه شيء) مما استبشعه ابن حجر في فتح الباري جد الاستبشاع. وحدوث الأفعال فيما لا يزال لا يلزم منه تعطيل الصفات أصلا لا في زمن حدوث الأفعال ولا في غيره وهو تعالى سريع الحساب وشديد العقاب قبل خلق الكون وقبل النشور وهل يتصور عاقل أن يحاسب الله خلقه أو يعاقبه قبل أن يخلقهم؟. وهذا يهد مزاعم الناظم الذي يجري الصفات على مجرى واحد، فالله القادر مختار يفعل ما يشاء متى شاء. اهـ

قلت: هذه المسألة من أكبر المسائل التي انتطح بها ثورا المتكلمين والفلاسفة؛ وكلا الفريقين قد تهوَّك فيها واضطرب وخالف المعقول والمنقول.

ثم أتى العظيم ابن تيمية وعقر هذين الثورين وأظهر عقيدة المسلمين إلا أن كلامه رحمه الله عسر فهمه على السكارى الحيارى فرموه بما تأليفه في الباب تنضح بالرد عليه والتسفيه لأصحابه.

ووصف الشيخ بمن ساء فهمه لكلامه بأنه نتج: مِنْ فَسَادِ تَصَوُّرِهِ. اهـ

يقرر الشيخ رحمه الله أن الله سبحانه وتعالى قادر فاعل منذ الأزل كما أنه قادر فاعل إلى الأبد، وأنه لم يكن سبحانه في وقت من الأوقات معطلا عن الفعل ثم صار فاعلا كما هو قول المتكلمين (كما سنوضحه)، ويقرر أن ما سوى الله تعالى حادث مخلوق وأنه سبحانه وحده القديم الأزلي ويرد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم (كما سنوضح مقالتهم).

ولما رأى المتكلمون هذا الكلام من الشيخ رحمه الله، قالوا أنه يعتقد قدم العالم!!

قال الشيخ رحمه الله: وَبَعْضُهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ - أي قول المتكلمين - فَقَدْ قَالَ بِقَدَمِ الْعَالَمِ وَوَافَقَ الْفَلَسِيفَةَ الدَّهْرِيَّةَ؛ لِأَنَّهُ نَظَرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ الْكَلَامِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَوْلَيْنِ: قَوْلَ الْفَلَسِيفَةِ الْقَائِلِينَ بِقَدَمِ الْعَالَمِ إِمَّا صُورَتُهُ وَإِمَّا مَادَّتُهُ سَوَاءٌ قِيلَ: هُوَ مَوْجُودٌ بِنَفْسِهِ؛ أَوْ مَعْلُولٌ لِغَيْرِهِ. وَقَوْلَ مَنْ رَدَّ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ: الْجُهِمِيَّةِ؛ وَالْمُعْتَزَلَةِ؛ وَالْكَرَامِيَّةِ؛ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ لِرَبِّ لَمْ يَزَلْ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا يَتَكَلَّمُ شَيْئًا ثُمَّ أَحْدَثَ الْكَلَامَ وَالْفِعْلَ بِلَا سَبَبٍ أَصْلًا^(١). اهـ

وهذا حالهم معه رحمه الله..!

قال الشيخ رحمه الله في ذكر سبب النزاع: أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ - مِنَ الْجُهِمِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ - سَلَكَوا فِي إِثْبَاتِ حُدُوثِ الْعَالَمِ وَإِثْبَاتِ الصَّانِعِ طَرِيقًا مُبْتَدَعَةً فِي الشَّرْعِ مُضْطَرِبَةً فِي الْعَقْلِ وَأَوْجَبُوهَا وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَةَ الصَّانِعِ إِلَّا بِهَا وَتِلْكَ الطَّرِيقُ فِيهَا مُقَدِّمَاتٌ مُجْمَلَةٌ لَهَا نَتَائِجٌ مُجْمَلَةٌ فَغَلِطَ كَثِيرٌ مِنْ

(١) مجموع الفتاوى (٢٢٢/١٨).

سَالِكِيهَا فِي مَقْصُودِ الشَّارِعِ وَمُقْتَضَى الْعَقْلِ فَلَمْ يَفْهَمُوا مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ
النَّبَوِيَّةُ وَلَمْ يُحَرِّرُوا مَا اقْتَضَتْهُ الدَّلَائِلُ الْعَقْلِيَّةُ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَةُ
الصَّانِعِ إِلَّا بِإِثْبَاتِ حُدُوثِ الْعَالَمِ وَلَا يُمَكِّنُ إِثْبَاتُ حُدُوثِ الْعَالَمِ إِلَّا بِإِثْبَاتِ
حُدُوثِ الْأَجْسَامِ. قَالُوا: وَالطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ هُوَ الِاسْتِدْلَالُ بِحُدُوثِ الْأَعْرَاضِ
عَلَى حُدُوثِ مَا قَامَتْ بِهِ الْأَعْرَاضُ فَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَدَلَّ بِالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ فَقَطُّ
وَمِنْهُمْ مَنْ احْتَجَّ بِالْأَكْوَانِ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ الْاجْتِمَاعُ وَالِافْتِرَاقُ وَالْحَرَكَةُ
وَالسُّكُونُ. وَمِنْهُمْ مَنْ احْتَجَّ بِالْأَعْرَاضِ مُطْلَقًا. وَمَبْنَى الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَا لَا يَحُلُو
مِنْ الْحَوَادِثِ فَهُوَ حَادِثٌ؛ لِامْتِنَاعِ حَوَادِثٍ لَا أَوَّلَ لَهَا. فَيَقُولُ لَهُمُ الْمُعَارِضُونَ -
مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ وَغَيْرِهِمُ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مُحَدَّثَةٌ عَنْ عَدَمٍ وَالْقَائِلُونَ
بِأَنَّ الْأَفْلَاقَ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ - حُدُوثُ الْحَوَادِثِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ أَمْرٌ حَادِثٌ. فَلَا بُدَّ لَهُ
مِنْ سَبَبٍ حَادِثٍ وَإِلَّا لَزِمَ تَرْجِيحُ أَحَدِ طَرَفَيْ الْمُتَمَكِّنِ بِلَا مُرَجِّحٍ. وَقَالَ لَهُمُ
الْقَائِلُونَ بِحُدُوثِ الْأَفْلَاقِ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ وَغَيْرِهِمُ: أَنْتُمْ أَثَبْتُمْ حُدُوثَ الْعَالَمِ بِطَرِيقِ
وَحُدُوثِ الْعَالَمِ لَا يَتِمُّ إِلَّا مَعَ نَقِيضِ مَا أَثَبْتُمُوهُ. فَمَا جَعَلْتُمُوهُ دَلِيلًا عَلَى حُدُوثِ
الْعَالَمِ لَا يَدُلُّ عَلَى حُدُوثِهِ؛ بَلْ وَلَا يَسْتَلْزِمُ حُدُوثَهُ. وَالدَّلِيلُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ
مُسْتَلْزِمًا الْمَدْلُولِ؛ بِحَيْثُ يَلْزِمُ مِنْ تَحَقُّقِ الدَّلِيلِ تَحَقُّقُ الْمَدْلُولِ؛ بَلْ هُوَ مُنَافٍ
لِحُدُوثِ الْعَالَمِ مُنَاقِضٌ لَهُ وَهُوَ يَقْتَضِي امْتِنَاعَ حُدُوثِ الْعَالَمِ بَلْ امْتِنَاعَ حُدُوثِ شَيْءٍ
مِنَ الْأَشْيَاءِ. وَهَذَا يَقْتَضِي بُطْلَانَهُ فِي نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَوْ صَحَّ لَمْ يَدُلَّ إِلَّا عَلَى نَقِيضِ
الْمَطْلُوبِ وَنَقِيضِ مَا يَقُولُهُ كُلُّ عَاقِلٍ.

مَا أَمَكَّنَ حُدُوثُهُ إِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَا يَسْتَلْزِمُ حُدُوثَهُ لَمْ يَحْصُلْ فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ لَا
مَحَالَةَ وَوَجَبَ وُجُودُهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ بَلْ يَمْتَنِعُ وُجُودُهُ مَعَ عَدَمِ

مَشِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ فَمَا شَاءَ اللَّهُ حُدُوثُهُ كَانَ لَزِمَ الْحُدُوثُ وَاجِبَ الْحُدُوثِ بِمَشِيَّةِ اللَّهِ لَا بِنَفْسِهِ وَمَا لَمْ يَشَأْ حُدُوثُهُ كَانَ مُمْتَنِعَ الْحُدُوثِ لَزِمَ الْعَدَمِ وَاجِبَ الْعَدَمِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَوْجَدْ مَشِيَّةُ اللَّهِ الْمُسْتَلْزِمَةَ لِحُدُوثِهِ. ثُمَّ إِنَّ الْفَلَاسِفَةَ الدَّهْرِيَّةَ الْقَائِلِينَ بِقَدَمِ الْعَالَمِ قَالُوا: مَا ذَكَرْتُمُوهُ مِنَ الدَّلِيلِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْحُدُوثِ؛ بَلْ يَقْتَضِي عَدَمَ الْحُدُوثِ؛ لِأَنَّ حُدُوثَ الْحَوَادِثِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ عَنْ ذَاتٍ لَمْ تَزَلْ مُعْطَلَّةً مِنَ الْفِعْلِ بَاطِلٌ فَيَكُونُ الْعَالَمُ قَدِيمًا وَعَبَّرُوا عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ جَمِيعَ الْأُمُورِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي كَوْنِهِ فَاعِلًا إِنْ وُجِدَتْ فِي الْأَزَلِ لَزِمَ وُجُودُ الْفِعْلِ فِي الْأَزَلِ وَإِلَّا لَزِمَ تَخَلُّفُ الْمُقْتَضَى عَنِ الْمُقْتَضِي التَّامِّ. وَحِينَئِذٍ فَإِذَا وُجِدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لَزِمَ التَّرْجِيحُ بِلَا مُرَجِّحٍ وَإِنْ لَمْ تَوْجَدْ فِي الْأَزَلِ فَوُجُودُهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرٌ حَادِثٌ؛ فَيَقْتَضِي أَمْرًا حَادِثًا وَإِلَّا لَزِمَ الْحُدُوثُ بِلَا مُحْدِثٍ؛ وَحِينَئِذٍ فَيَلْزَمُ تَسْلُسُلُ الْحَوَادِثِ فَإِنَّ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْحَادِثِ كَالْقَوْلِ فِي غَيْرِهِ. وَهَذَا مِمَّا تُنْكِرُهُ الْمُعْتَزِلَةُ وَمُؤَافِقُوهُمْ الْمُتَكَلِّمُونَ. قَالُوا: فَأَنْتُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ:

١- إِمَّا إِبْثَابَ التَّسْلُسُلِ فِي الْحَوَادِثِ.

٢- وَإِمَّا إِبْثَابَ التَّرْجِيحِ بِلَا مُرَجِّحٍ وَكِلَاهُمَا مُمْتَنِعٌ عِنْدَكُمْ^(١). اهـ

بمعنى أن وجود الكون بعد أن لم يكن موجوداً أمر حادث يحتاج إلى سبب (فعل) يرجح وجوده على عدم وجوده؛ وأنتم تقولون أن الله سبحانه لا تقوم به الحوادث (الأفعال)، فما هو الشيء المرجح للوجود على عدم الوجود؟!، وهذا المرجح حادث إذا أثبتتموه لزمكم إثبات قيام الحوادث (الأفعال) في ذات الله سبحانه، فلم يجدوا من هذا الإلزام مناصاً.

(١) مجموع الفتاوى (٢١٦/٨).

وأما الفلاسفة القائلون بقدوم العالم فأيضاً عطّلوا الله سبحانه من الأفعال وسمّوه: علة تامة.

بمعنى تستلزم وجود معلولها (الذي هو الكون) معها ولا يجوز تخلف المعلول عنها = كشعاع الشمس للشمس.

قال شيخ الإسلام في الرد عليهم: فإن الحوادث الموجودة في العالم لا يجوز أن تكون صادرة عن العلة التامة الأزلية لأن تلك يلزمها معلولها فيكون قديماً معها فلا يكون محدثاً، فوجب أن يكون للحوادث فاعل آخر غير العلة التامة القديمة، وذلك أيضاً يوجب إثبات مشارك لله يحدث الحوادث وهذا أيضاً باطل، فإن ذلك الذي قدر محدثاً للحوادث إن كان محدثاً فهو من جملة الحوادث التي تحتاج إلى فاعل محدث، وإن كان قديماً فقد صدرت الحوادث عن قديم فإن كان علة تامة أزلية امتنع حدوث الحوادث عنه (لأن الحوادث تقع في كل وقت وكونه علة تامة يقتضي حدوث كل شيء في الأزل!)، وإن كان فاعلاً باختياره يحدث عنه الحوادث بطل قولهم سواء قيل أنه صار محدثاً للحوادث بعد أن لم يكن بغير سبب حادث أو قيل أنه لم يزل فاعلاً قادراً بفعل اختياري يقوم بنفسه^(١). اهـ

وقال ابن تيمية عن هؤلاء: وأما القائلون بقدوم العالم فهم أبعد عن المعقول والمنقول من جميع الطوائف^(٢). اهـ

(١) الصفدية (٢١٧/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣٤/١٨).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فَقَوْلُنَا: لَمْ يَزَلْ قَادِرًا بِمَنْزِلَةِ قَوْلِنَا: هُوَ قَادِرٌ دَائِمًا وَكَوْنُهُ قَادِرًا وَصِفٌ دَائِمٌ لَا ابْتِدَاءَ لَهُ فَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ: لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلْ مَا شَاءَ يَقْتَضِي دَوَامَ كَوْنِهِ مُتَكَلِّمًا وَفَاعِلًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، (وَإِذَا ظَنَّ الظَّانُّ أَنَّ هَذَا يَقْتَضِي قِدَمَ شَيْءٍ مَعَهُ كَانَ مِنْ فَسَادِ تَصَوُّرِهِ) فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ فَكُلُّ مَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ مَسْبُوقٌ بِالْعَدَمِ فَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ قَدِيمٌ بِقَدَمِهِ. وَإِذَا قِيلَ: لَمْ يَزَلْ يَخْلُقْ كَانَ مَعْنَاهُ لَمْ يَزَلْ يَخْلُقْ مَخْلُوقًا بَعْدَ مَخْلُوقٍ كَمَا لَا يَزَالُ فِي الْأَبَدِ يَخْلُقُ مَخْلُوقًا بَعْدَ مَخْلُوقٍ، نَنْفِي مَا نَنْفِيهِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْحَرَكَاتِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِلَّا وَصْفُهُ بِدَوَامِ الْفِعْلِ لَا بِأَنَّ مَعَهُ مَفْعُولًا مِنَ الْمَفْعُولَاتِ بِعَيْنِهِ. وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّ نَوْعَهَا لَمْ يَزَلْ مَعَهُ فَهَذِهِ الْمَعْيَةُ لَمْ يَنْفِهَا شَرْعٌ وَلَا عَقْلٌ بَلْ هِيَ مِنْ كَمَالِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَالْخَلْقُ لَا يَزَالُونَ مَعَهُ وَلَيْسَ فِي كَوْنِهِمْ لَا يَزَالُونَ مَعَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَا يُنَافِي كَمَالَهُ وَيَبِينُ الْأَزَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَعَ أَنَّهُ فِي الْمَاضِي حَدَثَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ إِذْ كَانَ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَلَهُ ابْتِدَاءٌ وَلَا نَجْزِمُ أَنْ يَكُونَ لَهُ انْتِهَاءٌ.

وَهَذَا فَرْقٌ فِي أَعْيَانِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهُوَ فَرْقٌ صَحِيحٌ لَكِنْ يَشْتَبِهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ النَّوْعَ بِالْعَيْنِ، كَمَا اشْتَبَهَ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ فَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ كَوْنِ كَلَامِهِ قَدِيمًا بِمَعْنَى إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ وَبَيْنَ كَوْنِ الْكَلَامِ الْمُعَيَّنِ قَدِيمًا وَكَذَلِكَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ كَوْنِ الْفِعْلِ الْمُعَيَّنِ قَدِيمًا وَبَيْنَ كَوْنِ نَوْعِ الْفِعْلِ الْمُعَيَّنِ قَدِيمًا كَالْفَلَكَ مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ مَسْبُوقٌ بِالْعَدَمِ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا سِوَاهُ، وَهَذَا الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْأَثَرُ وَهُوَ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَعْقُولَاتُ الصَّرِيحَةُ الْخَالِصَةُ مِنَ الشُّبْهِ كَمَا قَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَبَيَّنَّا مُطَابَقَةَ الْعَقْلِ الصَّرِيحِ لِلنَّقْلِ الصَّحِيحِ. وَإِنْ غَلِطَ أَهْلُ الْفَلَسَفَةِ وَالْكَلامِ أَوْ غَيْرُهُمْ فِيهِمَا أَوْ فِي أَحَدِهِمَا وَإِلَّا فَالْقَوْلُ

الصِّدْقُ الْمَعْلُومُ بِعَقْلِ أَوْ سَمْعٍ يَصْدُقُ بَعْضُهُ بَعْضًا لَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، قَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ وَإِنَّمَا مَدَحَ مَنْ جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُ. وَهَذِهِ حَالُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ إِلَّا الصِّدْقَ وَلَمْ يَرُدَّ مَا يَحِيثُهُ بِهِ غَيْرُهُ مِنْ الصِّدْقِ بَلْ قَبِلَهُ وَلَمْ يُعَارِضْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَدْفَعْ أَحَدَهُمَا بِالْآخِرِ^(١). اهـ

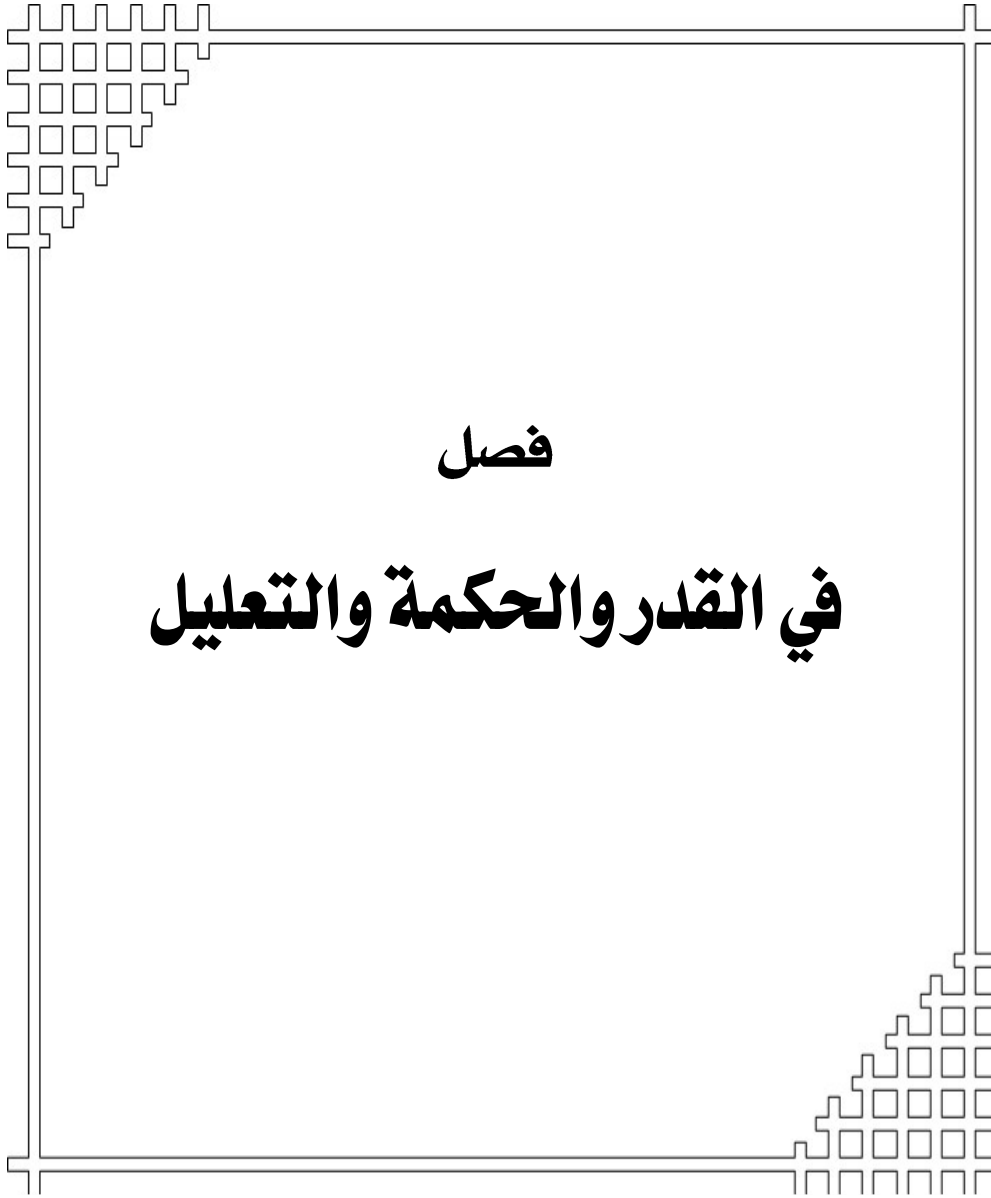
وقول الفلاسفة أطرده لأصوله وأبعد عن العقل والنقل، ولكن قول المتكلمين أكثر مناقضة لنفسه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: والقائلون بقدوم العالم؛ من الفلاسفة، والملاحدة، وغيرهم تبين لهم فسادها- أي فساد حجج المتكلمين-؛ فصار ذلك من أعظم حججهم على قولهم الباطل؛ فيُطْلَوْنَ قول هؤلاء أنه صار فاعلاً، أو فاعلاً ومتكلماً بمشيئته بعد أن لم يكن، ويثبتون وجوب دوام نوع الحوادث، ويظنون أنهم إذا أبطلوا كلام أولئك المتكلمين بهذا حصل مقصودهم. وهم أضل وأجهل من أولئك؛ فإن أدلتهم لا توجب قدم شيء بعينه من العالم، بل كل ما سوى الله فهو حادث مخلوق كائن بعد أن لم يكن، ودلائل كثيرة غير تلك الطريقة^(٢). اهـ

وهذه هي المسألة باختصار إذ الغرض هو ردُّ الفرية عن الشيخين رحمهما الله وبيان عقيد أهل السنة.

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٢٣٩-٢٤٠).

(٢) النبوات (١/٢٦١-٢٦٣).



فصل

في القدر والحكمة والتعليل

شيوخ المجبرة كأنهم حمر مستنفرة

رب يسر وأعن برحمتك يا كريم

قال السبكي^(١): فصل في تخيل الناظم في أفعال العباد.. إلخ.

قال -أي ابن القيم-:

والعبد عندهم ليس بفاعل بل فعله كتحرك^(٢) الأجفان

قال السبكي: كذب هذا الجاهل في قوله: إن العبد عندهم ليس بفاعل. ولكن مراده بذلك قولهم: إنه لا يخلق فعله. وليس بخالق والله سبحانه هو خالق أفعال العباد، فاعتقد هذا الجاهل بسبب ذلك أنهم يقولون إنه ليس بفاعل، وكون العبد ليس بخالق حق، وكونه ليس بباطل، والفاعل من قام به الفعل والفعل قائم بذات العبد، والخالق من أوجد الفعل ولا يوجد إلا الله، وقوله: كتحرك الرجفان. جهل منه فإنه لم يفرق بين الجبر ومذهب الأشعري. اهـ

قلت: هنا يرد السبكي وصف ابن القيم لطائفته الأشعرية بأنهم جبرية ويصفه بالجهل والكذب، وسأبين في هذه الوريقات غلط السبكي بزعمه أن الأشاعرة يعتقدون أن العبد فاعل حقيقة وأنهم ليسوا بجبرية.

(١) السيف الصقيل، ص ٣٠.

(٢) تصحفت في المطبوع إلى: كتحرج.

ينبغي أن يُعلم أولاً أن (مذهب سلف الأمة مع قولهم الله خالق كل شيء وربّه وملكه و أنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنه هو الذي خلق العبد هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً و إذا مسه الخير منوعاً ونحو ذلك، أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة و قدرة قال تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۖ﴾ وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْغَفِرَةِ﴾^(١).

وقد حذا الجهمية الإناث (الأشاعرة) في باب القدر حذو ذكورهم (الجهمية الخُلَّص) القذة بالقذة إلا أن الإناث موهوا وصرَّح الذكور، موهوا جبريتهم بالفاظ يُنفقونها بها بين الجهال والأغمار والحمقى، فقال الذكور: العبد مجبور على أفعاله، بينما قال الإناث: ليس للعبد فعل، أو: الله هو الفاعل حقيقة، أو: فعل العبد كسب له، وليس بين الإناث والذكور إلا نزاع لفظي.

قال ابن تيمية: "والأشعرية عندهم أن البناء، والخيَّاط، وسائر أهل الصنائع لم يُحدثوا في تلك المواد شيئاً؛ فإنَّ القدرة المُحدثة - عندهم - لا تتعلَّق إلا بما هو في محلّها، لا خارجاً عن محلّها. ويقولون: إنَّ تلك المصنوعات كلّها مخلوقة لله، ليس للإنسان فيها صنع"^(٢). اهـ

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١٨/٨).

(٢) النبوات (٣٠٠/١).

قال ابن تيمية: "وجههم بن صفوا وأتباعه هم أعظم نفيا منهم فإنهم ينفون الأسماء مع الصفات، وهم رؤوس المجبرة، والأشعرية وافقتهم في الجبر لكن نازعوهم (نزاعا لفظيا) في إثبات الكسب والقدرة عليه"^(١). اهـ

وقال: "وكثير من المتأخرين من المثبتين للقدر من أهل الكلام -يعني الأشاعرة- ومن وافقهم سلكوا مسلك جهم في كثير من مسائل هذا الباب وإن خالفوه في بعض ذلك إما (نزاعا لفظيا) وإما (نزاعا لا يُعقل) وإما نزاعا معنويا"^(٢). اهـ

وقد قال التفتراني الأشعري: "فالإنسان مضطر في صورة مختار"^(٣). اهـ

قلت: وهذا جبر واضح!

وقال الإيجي: "والجبرية متوسطة تثبت للعبد كسبا كالأشعرية، وخالصة: لا تثبته كالجهمية"^(٤). اهـ

قلت: وكسبهم لا حقيقة له عند التفصيل ولا تأثير ويتبين بما.

قاله الألوسي الصوفي الخرافي: "... ولا أن لهم قدرة غير مؤثرة أبداً كاليد المشلولة كما هو الشائع من مذهب الأشاعرة إذ هو في المآل كقول الجبرية (وأي

(١) مجموع الفتاوى (٢٢٨/١٣).

(٢) المصدر السابق (٤٦٦/٨).

(٣) شرح المقاصد (٢٦٣/٤).

(٤) المواقف، ص ٤٢٨.

فرق بين قدرة لا أثر لها وبين عدم القدرة بالكلية) إلا بما هو كسر اب بقيعة يحسبه
الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً" (١). اهـ

وأما الجويني فقد ضاق عطنه أثناء حديثه عن مسألة استطاعة العبد:
"ومذهب أبي الحسن رحمه الله مختبط عندي في هذه المسألة" (٢). اهـ

فهؤلاء كبار القوم قد نسبوا هذه الخزية إلى المذهب الأشعري، فهل نصدقهم
أم نصدق من لم يأذن الله لصنوف العلم أن تلج قلبه؟!

وفي ختام هذا المقال أريد أن أنبه على قضية خطيرة سببها ما نفثه شيوخ هذا
المذهب الوبي في عقائد الناس.

وهي أن العامي الجاهل أو الفاسق متى ما وقع في نفسه أن الله جبره على
أفعاله سَوَّلَ له نفسه الانخراط في المحرمات وركوب الفواحش.. وحجته "الله
كتب عليّ هذا" أو "الله يريد مني أن أفعل هذا".

وتأمل في مجتمعات القوم ترى حقيقة ما أقول.

تنبيه: طالعت في بحث لأحد مريدي القوم فوجدته يجمع الأقوال بحيث
يثبت ما أثبتته السبكي هنا، وهذا أيضا فعل من لا يعي، فغالب من يأتي بكلامه إن
لم يكن مخالفا للقوم أصالة في المسألة أو في فرع من فروعها فإنه عند جمع كلامه
وتمحيصه تظهر جبريته.

(١) روح المعاني (١/٦٤).

(٢) البرهان في أصول الفقه (١/٢٧٧).

هل ربنا عز وجل قادر على الظلم؟!

رب يسر وأعن برحمتك يا كريم

قال علي السبكي^(١): ثم قال -أي ابن القيم-: "والظلم عندهم المحال لذاته"، قال السبكي: نعم إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وكيف يتصور الظلم والكل ملكه، ثم قال -ابن القيم-: "أنى ينزه عنه ويكون مدحا ذلك التنزيه"، قال السبكي: قلنا يا جاهل اجتأت على الله وعلى عباده فلم تفرق بين الفعل والخلق، وظننت بجهلك أنها سواء، وأنه لا يعاقب على فعله. اهـ

قلت: في هذه الفقرة يقرر السبكي أن الله سبحانه وتعالى غير قادر على الظلم أي أن الظلم ممتنع ((لذاته)) عن الله.

بينما أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى قادر على الظلم ولكنه سبحانه لكمال عدله حرّم الظلم ومنع نفسه منه، وهذا هو صريح ظواهر القرآن.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: هُوَ أَشْرَفُ حَدِيثٍ لِأَهْلِ الشَّامِ. فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»، يَعْنِي: أَنَّهُ مَنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الظُّلْمِ لِعِبَادِهِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾، وَقَالَ ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ وَقَالَ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ

لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا ﴿١﴾ وَقَالَ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿٣﴾ وَقَالَ: ﴿٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿٥﴾ وَالْهَضْمُ: أَنْ يُنْقَصَ مِنْ جَزَاءِ
حَسَنَاتِهِ، وَالظُّلْمُ: أَنْ يُعَاقَبَ بِذُنُوبٍ غَيْرِهِ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ. وَهُوَ يَمَّا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى الظُّلْمِ، وَلَكِنْ لَا يَفْعَلُهُ فَضْلًا مِنْهُ وَجُودًا وَكَرَمًا وَإِحْسَانًا إِلَى
عِبَادِهِ. وَقَدْ فَسَّرَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الظُّلْمَ بِأَنَّهُ وَضَعَ الْأَشْيَاءَ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا. وَأَمَّا
مَنْ فَسَّرَهُ بِالتَّصَرُّفِ فِي مِلْكِ الْغَيْرِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ - وَقَدْ نُقِلَ نَحْوُهُ عَنْ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ
وغيره - فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ أَنَّ الظُّلْمَ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ، وَغَيْرُ مُتَصَوِّرٍ فِي حَقِّهِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا
يَفْعَلُهُ فَهُوَ تَصَرُّفٌ فِي مِلْكِهِ، وَبِنَحْوِ ذَلِكَ أَجَابَ أَبُو الْأَسودِ الدُّؤَلِيُّ لِعِمْرَانَ بْنِ
حُصَيْنٍ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ الْقَدْرِ. وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سِنَانٍ
سَعِيدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ خَالِدِ الْحَمِصِيِّ، «عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبِي بَنٍ
كَعْبٍ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ
لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ، لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّهُ أَتَى ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لَهُ
مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَى زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَحَدَّثَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ
ذَلِكَ». وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَظَرٌ، وَوَهْبُ بْنُ خَالِدٍ لَيْسَ بِذَلِكَ الْمَشْهُورِ بِالْعِلْمِ. وَقَدْ
يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ تَعْدِيْبَهُمْ، لَقَدَّرَ لَهُمْ مَا يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ
حِينَئِذٍ.

وَكُونُهُ خَلَقَ أَفْعَالَ الْعِبَادِ وَفِيهَا الظُّلْمُ لَا يَقْتَضِي وَصْفَهُ بِالظُّلْمِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى، كَمَا أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِسَائِرِ الْقَبَائِحِ الَّتِي يَفْعَلُهَا الْعِبَادُ، وَهِيَ خَلْقُهُ وَتَقْدِيرُهُ،
فَإِنَّهُ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِأَفْعَالِهِ لَا يُوصَفُ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ، فَإِنَّ أَفْعَالَ عِبَادِهِ مَخْلُوقَاتُهُ

وَمَفْعُولَاتُهُ، وَهُوَ لَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْهَا، إِنَّمَا يُوصَفُ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

وقال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى^(١): وكذلك قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُورِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۖ ﴿٢٠﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ۖ ﴿٢١﴾﴾ يبين أن هذا العقاب لم يكن ظلماً؛ لاستحقاقهم ذلك وأن الله لا يريد الظلم، والأمر الذي لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم إرادته وإنما يكون المدح بترك الأفعال إذا كان الممدوح قادراً عليها، فعلم أن الله قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم وأنه لا يفعل به وبذلك يصح قوله «إني حرمت الظلم على نفسي» وأن التحريم هو المنع، وهذا لا يجوز أن يكون فيما هو ممتنع لذاته فلا يصلح أن يقال: حرمت على نفسي أو منعت نفسي من خلق مثلي أو جعل المخلوقات خالقة ونحو ذلك من المحالات؛ وأكثر ما يقال في تأويل ذلك ما يكون معناه إني أخبرت عن نفسي بأن ما لا يكون مقدوراً لا يكون مني، وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن أنه ليس مراد الرب وأنه يجب تنزيه الله ورسوله عن إرادة مثل هذا المعنى الذي لا يليق الخطاب بمثله إذ هو مع كونه شبه التكرير وإيضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا ما يستفيد المستمع، فعلم أن الذي حرمه على نفسه هو أمر مقدور عليه لكنه لا يفعله لأنه حرمه على نفسه وهو سبحانه منزّه عن فعله مقدس عنه. اهـ

وهذا الكلام المتين من ابن تيمية رحمه الله كاف شاف في سحق هذه المقالة وبيان تفاهة العقول التي نسجتها وسخافة القطعان التي اتبعتها.

وملخصه أنه لولا أن الله تعالى قادر على الظلم لما مدح نفسه بتركه!!

فالمسألة والله الحمد على قدر عال من الوضوح.

وفي المقال القادم سأبين تناقضهم في زعمهم منع الظلم عن الله تعالى، وتعلق

هذه المسألة بصفة الحكمة التي لم يثبتوها لله حقيقة.

هل ربنا سبحانه حكيم عندهم؟!

ربي يسر وأعن برحمتك يا كريم

قال السبكي^(١): فصل قال (أي ابن القيم):

وكذلك قالوا ماله من حكمة هي غاية للأمر والإتقان

قلت: أي أن الأشعرية ينفون صفة الحكمة.

فقال السبكي: انظر إلى هذه الجرأة والكذب على العلماء.. إلخ.

قلت: معنى الحكمة عند أهل السنة "أنها الغايات المحمودة المطلوبة له سبحانه بخلقه وأمره التي أمر لأجلها وقدر وخلق لأجلها وهي صفته القائمة به كسائر صفاته: من سمعه وبصره وقدرته وإرادته وعلمه وحياته وكلامه"^(٢).

والأشعرية لا يصرحون بنفي صفة الحكمة عن الله فإن التمويه ديدن القوم!، بل يعمدون إلى حقيقتها ويسمونها بغير اسمها ثم ينفونها، فسموا الحكمة: عللا وأغراضا، وقد قال الإيجي (الأشعري) في المواقف^(٣): "في أن أفعاله تعالى ليست معللة بالأغراض، إليه ذهب الأشاعرة، وقالوا: لا يجوز تعليل أفعاله تعالى بشيء من الأغراض والعلل الغائية". اهـ

(١) ص ٣١.

(٢) مدارج السالكين.

(٣) ص ٢٠٢.

ونفهم للحكمة بهذه الطريقة معناه أن الله تعالى لم يفعل شيئاً لشيء البتة، بل أفعاله كلها صادرة عن محض الإرادة.. فلم تكن حكمة خلق الثقلين وسببها عبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦)، ولم تكن الحكمة من خلق الليل مظلماً لمناسبته للسكون والراحة، ولا حكمة خلق النهار مضيئاً لمناسبته للسعي والعمل هو ﴿جَعَلْ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾!

وهذه العقيدة باعثها أنهم ظنوا أنهم لو أثبتوا الحكم في مخلوقات الله سبحانه للزم ذلك حاجة الله لهذه المخلوقات!

فقال الكوثري في حاشية السيف الصقيل: وأما كون أفعال الله غير معللة بالأغراض فليس من نفي الحكمة في شيء، بل من قبيل التهيب والاحتراز من القول بأن هناك غرضاً يحمل الله سبحانه على الفعل استحصالاً لذلك الغرض الذي لا يحصل إلا بذلك الفعل.. ولما في ذلك من الاستكمال بالغير. اهـ

وقال الرازي كما في محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين: أن كل من كان كذلك كان مستكملاً يفعل ذلك الشيء، والمستكمل بغيره ناقص لذاته.. الخ. (١)

وليس الأمر كما فهم هذا الكوثري ولا الرازي!

فإن أهل الحق لا يوجبون على الله شيئاً - كما تفعل المعتزلة - بل يعتقدون أن الله سبحانه قادر على خلق النتائج دون وجود أسبابها، ولكنه سبحانه خلق السبب وخلق النتيجة؛ ثم جعل النتيجة مرتبطاً بوجودها بوجود أسبابها فإذا وجدت الأسباب وجدت النتائج.

ومثال ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسٍ كَثِيرًا ﴿فأخبر سبحانه أنه أنزل ماء طهورا من السماء (سبب) و (النتيجة) ليحيي به الأرض الميتة ويسقيه للأنعام والآناسي.

وهذا كله دليل على كماله سبحانه.

فهو سبحانه عندما يفعل شيئا لحبه له فهذا من كماله وعندما يترك شيئا لعدم حبه له يكون تركه كمالا، وعندما يفعل شيئا في خلقه هو لا يحبه لا يفعله إلا لأنه جعل نتيجه شيئا يحبه.

قال ابن تيمية رحمه الله: وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ التَّأْثِيرَ إِذَا فُسِّرَ بِوُجُودِ شَرْطِ الْحَادِثِ أَوْ سَبَبٍ يَتَوَقَّفُ حَدُوثُ الْحَادِثِ بِهِ عَلَى سَبَبٍ آخَرَ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعَ - وَكُلُّ ذَلِكَ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى - فَهَذَا حَقٌّ وَتَأْثِيرُ قُدْرَةِ الْعَبْدِ فِي مَقْدُورِهَا ثَابِتٌ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ. وَإِنْ فُسِّرَ التَّأْثِيرُ بِأَنَّ الْمُؤَثِّرَ مُسْتَقِلٌّ بِالْأَثَرِ مِنْ غَيْرِ مُشَارِكٍ مُعَاوِنٍ وَلَا مُعَاوِقٍ مَانِعٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مُؤَثِّرًا بَلْ اللَّهُ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَدٌّ لَهُ فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٢٢) وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. ﴿قُلِ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ تُمْسِكُونَهَا﴾ (٢٣) وَلَا يَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. ﴿قُلِ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ تُمْسِكُونَهَا﴾ (٢٣) وَلَا يَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. ﴿قُلِ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ تُمْسِكُونَهَا﴾ (٢٣) وَلَا يَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ.

هَبْ مُمَسِّكْتُ رَحْمَتِهِ ۖ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١﴾ وَنَظَائِرُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ^(١). اهـ

وهذا أمر بسيط واضح لكنه خفي على من لم يتجاوز فهمه فهم السائمة من الأنعام كالكوثري والرازي.

وقد تخلل الجويني (الأشعري) أيضا بلسانه متحدثا عن صفة الحكمة فقال: معنى قولنا: إنه حكيم في أفعاله أنه مصيب في ذلك ومحكم لها، لأنه مالك الأعيان فيتصرف تصرف مالك الأعيان في ملكه من غير اعتراض، وقد يراد بالحكمة: العلم بالمعنى بكونه حكيما في فعله أنه خلقه على الوجه الذي أراده وعلمه وحكم به!!^(٢). اهـ

وهذه الخزعبلات التي تفوه بها الجويني لا يفهم منها أبدا اتصاف الله سبحانه بحكمة حقيقية البتة.

فسحق ابن تيمية هذا الكلام وصاحبه قائلا: ففسروا حكمته بمعنى أنه يفعل ما يشاء بلا ذم، أو بمعنى أنه عالم، ولا ريب أن هذا خلاف ما عليه الناس في معنى الحكمة والحكيم فإنهم لا يجعلون الحكمة كون الحكيم له أن يفعل ما يشاء وإن كان الله تعالى له أن يفعل ما يشاء (لكن الحكمة فعله بعض الأشياء دون بعض لاشتغال المفعول على ما يصلح أن يكون مرادا للحكيم). اهـ

(١) مجموع الفتاوى (١٣٤/٣).

(٢) نقله ابن تيمية في بيان تلبس الجهمية (٢١٥/١)، وذكر المحقق أنه لم يجده في كتب الجويني المطبوعة.

ثم بالغت الأشعرية في الغباء فبنوا على هذا الرأي رأيا آخرًا أوغل منه بالسخافة.

فقالوا: إن اقتران الأشياء ببعض الأمور يستدعي الظن بأن هذه الأشياء مقرونة بتلك الأمور بشكل مطلق دائم .

بمعنى أنه هذه الأمور التي اعتدنا رؤيتها كالحرق الذي يحصل بالنار والتشافي الذي يحصل بالدواء والشبع الذي يحصل بالطعام اقتران هذه الأسباب بنتائجها عند الأشعرية ليس اقترانا مطلقا فليس في هذه المقدمات قوى مودعة من قبل الله.

فعند إلقاء خشبة في النار فإن الحرق الذي يحصل في الخشبة خلقه الله في هذه اللحظة دون أن تكون النار سببا فيه، وليس للنار قوى حقيقية أودعها الله بها تجعلها تسبب الإحراق!!

وأیضا لو أمرنا سكينًا على تفاحة فإن القطع الحاصل في التفاحة ليس للسكين دخل فيه وليس في السكين قوى أودعها الله بها تجعلها تسبب القطع في الأشياء التي تمرر فيها!!

فليس في الأشياء قوى أودعها الله بها وهذه الأشياء التي نراها إنما هي أمر اعتدناه وألفناه.

ثم اختلفوا في تكفير أو تبديع من اعتقد أن الله أودع في الأشياء قوى وجعلها أسبابا لما يتحصل منها.

فقال الدردير في خريدته:

ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعي فلا تلتفت
وقال البيجوري: فمن اعتقد أن الأسباب العادية كالنار والسكين والأكل
والشرب تؤثر في مسبباتها كالخرق والقطع والشبع والري بطبعها فهو كافر
بالإجماع.

ثم قال: أو لقوة خلقها الله فيها ففي كفره قولان، والأصح أنه ليس بكافر بل
فاسق مبتدع. اهـ

فقل لي بربك هل مثل هذه البدعة - بل الأضحوكة - يحق لقائلها أن يكفر أو
يبدع؟!

وهذه السخافة يكفي في نقضها عرضها دون تعقبها (هكذا ظننت) حتى
رأيت بعض نفوس ذوي النقص قد أسرع في تلقفها.

قال ابن تيمية رحمه الله: قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ: تَكَلَّمَ قَوْمٌ مِنَ النَّاسِ فِي إِبْطَالِ
الْأَسْبَابِ وَالْقُوَى وَالطَّبَائِعِ فَأَضْحَكُوا الْعُقَلَاءَ عَلَى عُقُولِهِمْ. ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ
لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ شَبِعَ بِالْخُبْزِ وَرُويَ بِالْمَاءِ بَلْ يَقُولُ شَبِعْتُ عَنْدهُ
وَرُويَتْ عَنْدهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ الشَّبِعَ وَالرَّيَّ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْحَوَادِثِ عِنْدَ هَذِهِ
الْمُقْتَرِنَاتِ بِهَا عَادَةً؛ لَا بِهَا. وَهَذَا خِلَافُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:
﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى﴾ وَمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ .. إلخ ^(١).

وقال رحمه الله كلاما رائقا في تزييف كلامهم أنقله بطوله.

قال: "ومما يُبين حكمته، أن تقول: أفعاله المحكمة المتقنة دلت على علمه وهذا مما وقع الاتفاق عليه من هؤلاء فإنهم يسلمون أن الأحكام والإتقان يدل على علم الفاعل وهذا أمر ضروري عندهم وعند غيرهم ، وهو من أعظم الأدلة العقلية التي يجب ثبوت مدلولها والأحكام والإتقان إنما هو أن يضع كل شيء في محله المناسب لتحصل به الحكمة المقصودة منه ، مثل الذي يخطط قميصا فيجعل الطوق على قدر العنق والكمين على قدر اليدين وكذلك الذي يبني الدار يجعل الحيطان متماثلة ليعتدل السقف والذي يصنع الإبريق يوسع ما يدخل منه الماء ويضيق ما يخرج منه ، وحكمة الرب في جميع المخلوقات باهرة قد بهرت العقلاء واعترف بها جميع الطوائف والفلاسفة من أعظم الناس إثباتا لها وهم يشبتون العناية والحكمة الغائية وإن كان فيهم من قصر في أمر الإرادة والعلم ، وكذلك المتكلمون كلهم متفقون على إثبات الحكمة في مخلوقاته وإن كانوا في الإرادة وفعله لغاية متنازعين ، وذلك مثلما في خلق الإنسان وأدنى ذلك أن العين والفم والأذن فيها مياه ورطوبة فماء العين ملح وماء الفم عذب وماء الأذن مر فإن العين شحمة والملوحة تحفظها أن تذوب ، وهذه أيضا حكمة تمليح البحر فإن له سببا وحكمة فسببه سبوخة أرضه وملوحتها فهي توجب ملوحة مائه ، وحكمتها أنها تمنع نتن الماء بما يموت فيه من الحيتان العظيمة فإنه لولا ملوحة مائه لانتن ولو

(١) مجموع الفتاوى (١٣٧/٨).

أنتن لفسد الهواء لملاقاته له فهلك الناس بفساده ، وإذا وقع أحيانا قتل خلق كثير فإنه يفسد الهواء حتى يموت بسبب ذلك خلق كثير ، وماء الأذن مر ليمنع دخول الهوام إلى الأذن وماء الفم عذب لطيب به ما يأكله ، فلو جعل الله ماء الفم مرا لفسد الطعام على أكلته ولو جعل ماء الأذن عذبا لدخل الذباب في الدماغ ، ونظائر هذا كثيرة فلا يجوز أن يفعل بخلاف ذلك مثل أن يجعل العينين في القدمين ويجعل الوجه خشنا غليظا كالقدمين فإنه يفسد مصلحة النظر والمشى بل من الحكمة أنه جعل العينين في أعلى البدن في مقدمه ليرى بها ما أمامه فيدري أين يمشي ، وجعل الرجل خشنا تصبر على ما تلاقيه من التراب وغيره ، والعين لطيفة يفسدها أدنى شيء فجعل لها أجفانا تغطيها وأهدابا ، فنقول هذا ومثله من مخلوقات الرب دل على أنه قد أحكم ما خلقه وأتقنه ووضع كل شيء بالموضع المناسب له وهذا يوجب العلم الضروري أنه عالم فيميز بين هذا وبين هذا حتى خص هذا بهذا وهذا بهذا ، وهو أيضا يوجب العلم الضروري بأنه أراد تخصيص هذا بهذا وهذا بهذا فدل على علمه وإرادته ، وهذا مما يسلمونه فنقول ودل أيضا على أنه جعل هذا لهذا فجعل ماء العين والبحر ملحا للحكمة المذكورة ، وجعل العين في أعلى البدن وجعل لها أجفانا للحكمة المذكورة ، وكذلك إذا أنزل المطر وقت الحاجة إليه علم أنه أنزله ليحيي به الأرض ، وكذلك إذا دعاه الناس مضطرين فأنزل المطر علم أنه أنزله ليحيي الأرض لإجابة دعائهم ، فلا يتصور أن يعلم أنه أراد هذا لهذا ، ولا يتصور الإحكام والإتقان إلا إذا فعل هذا للحكمة المطلوبة فكان ما علم من إحكامه وإتقانه دليلا على علمه وعلى حكمته أيضا ، وأنه يفعل لحكمة والذين استدلوا بالإحكام على علمه ولم يثبتوا الحكمة وأنه

يفعل هذا لهذا متناقضون عند عامة العقلاء وحذاقهم معترفون بتناقضهم فإنه لا معنى للإحكام إلا الفعل لحكمة مقصودة فإذا انتفت الحكمة ولم يكن فعله لحكمة انتفى الإحكام وإذا انتفى الإحكام انتفى دليل العلم وإذا كان الإحكام معلوما بالضرورة ودلالته على العلم معلومة بالضرورة علم أن حكمته ثابتة بالضرورة وهو المطلوب ، وأيضا فإذا ثبت أنه عالم بنفس العلم يوجب أنه لا يفعل قبيحا ولا يجوز أن يفعل القبيح إلا من هو جاهل كما قد بسط في غير هذا الموضع وبين أن العالم يعلم ما الذي يصلح أن يفعل وإن فعل هذا أولى من فعل هذا وإذا كان مريدا للفعل وقد علم أن الفعل على هذا الوجه هو الأصلح امتنع أن يريد الوجه الآخر ، والإنسان لا يريد القبيح إلا لتقص علمه أما أن يفعل بلا علم بل لمجرد الشهوة أو يظن خطأ فيظن أن هذا الفعل يصلح وهو لا يصلح فإنما يقع القبيح في فعله لفعله مع الجهل البسيط أو المركب ، والرب منزّه عن هذا وهذا فيمتنع أن يفعل القبيح وأيضا فإنه قد ثبت أنه مريد وأن الإرادة تخصص المراد عن غيره ، وهذا إنما يكون إذا كان التخصيص لرجحان المراد ، إما لكونه أحب إلى المرید وأفضل عنده فأما إذا ساوى غيره من كل وجه امتنع ترجيح الإرادة له فكان إثبات الإرادة مستلزما لإثبات الحكمة وإلا لم تكن الإرادة ، فقد تبين ثبوت حكمته من جهة علمه ومن جهة نفس أفعاله المتقنة المحكّمة التي تدل على علمه بالاتفاق ، وهذه أصول عظيمة من تصورها تصورا جيدا انكشف له حقائق هذا الموضع الشريف ، وإذا ثبت أنه حكيم وأن حكمته لازمة لعلمه ولازمة لإرادته وهما لازمان لذاته كانت حكمته من لوازم ذاته فيمتنع أن يفعل إلا لحكمة وبحكمة ، ويمتنع أن يفعل على خلاف الحكمة ومعلوم بصريح العقل أن العلم خير من

الجهل والصدق خير من الكذب والعدل خير من الظلم والإصلاح خير من الإفساد ولهذا وجب اتصافه تعالى بالرحمة والعلم والصدق والعدل والإصلاح دون نقيض ، ذلك وهذا ثابت في خلقه وأمره فكما أنه في خلقه عادل حكيم رحيم فكذلك هو في أمره وما شرعه من الدين فإنه لا يكون إلا عدلاً وحكمة ورحمة ليس هو كما تقول الجهمية المجبرة ومن اتبعهم من أهل الكلام والرأي أنه يأمر العباد بها لا مصلحة لهم فيه إذا فعلوه ، وأن ما أمر به لا يجب أن يفعل على حكمة وينكرون تعليل الأحكام ، أو يقولون : أن علل الشرع أمارات محضة ، فهذا كله باطل كما قد بسط في مواضع بل ما يأمر به مصلحة لا مفسدة وحسن لا قبيح وخير لا فساد وحكمة وعدل ورحمة والحمد لله رب العالمين ، فإذا قدر رجلاً ادعى على الرب الرسالة أو توليا على الناس أو كانا من عرض الناس أحدهما عالم صادق عادل مصلح والآخر جاهل ظالم كاذب مفسد ، ثم قدر أن ذلك العالم العادل عوقب في الدنيا والآخرة فأذل في الدنيا وقهر وأهلك وجعل في الآخرة في جهنم ، وذلك الظالم الكاذب الجاهل أكرم في الدنيا والآخرة وجعل في الدرجات العلى ، كان معلوماً بالاضطرار أن هذا نقيض الحكمة والعدل وهو أعظم سفها وظلماً من تعذيب ماء البحر وماء العين فإن هذا غاية موت شخص أو النوع وهذا أقل فساداً من إهلاك خيار الخلق وتعذيبهم وإكرام شرار الخلق وإهانتهم ، وإذا كان هذا أعظم مناقضة للحكمة والعدل من غيره وتبين بالبراهين اليقينية أن الرب لا يجوز عليه خلاف الحكمة والعدل ؛ علم بالاضطرار أن الرب سبحانه لا يسوي بين هؤلاء وهؤلاء فضلاً عن أن يفضل الأشرار على الأخيار ، وهو سبحانه أنكر التسوية فقال ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣١﴾ ، وقال تعالى ﴿أَفَجَعَلُ الْمُتْسِلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ، وقد جعل من يجوز أن الله لا ينصر رسوله والمؤمنين في الدنيا والآخرة ويعذبهم في الآخرة في جهنم وأن الفراعنة يكرمهم في الآخرة والمنازع عنده لا فرق بين هذا وهذا بالنسبة إلى الرب وإلى إرادته وحكمته وعلمه بل إنما علم وقوع أحدهما بمجرد الخبر لا لامتناع أحدهما ووجوب الآخر ، والخبر إنما هو خبر الأنبياء وذلك موقوف على العلم بصدقهم وهو يستلزم صدقهم ، وعلى أصله يمتنع العلم بصدقهم فإنه يجوز أن يسوي الله بين الصادق والكاذب على أصله إذ كان يجوز عليه عنده كل مقدور ، وعنده لا يجوز أن يفعل فعلا لحكمة ، فلا يجوز على أصله أن يخلق الله آية ليدل به على صدقهم ، وإذا قال تجوز ذلك يقتضي أنه لا يقدر على خلق ما به يبين صدق الصادق فلذلك منعت من ذلك لأنه يقضي إلى تعجيزه ، قيل له : إنما يفضي إلى عجزه إذا كان خلق دليل الصدق ممكنا ، وعلى أصلك لا يمكن إقامة الدليل على إمكانه فإن الدليل يستلزم المدلول ويمتنع ثبوته مع عدمه وأي شيء قدرته جاز أن يخلقه على أصلك على يد الكاذب ، وأنت لا تنزهه عن فعل ممكن وإذا قلت أنزهه عن فعل ممكن يستلزم عجزه كان هذا تناقضا ، فإن فعل الممكن لا يستلزم العجز بل امتناع الممكن يستلزم العجز ، وبيان ذلك أن يقال ما خلقه على يد الصادق هو قادر على أن يخلقه على يد الكاذب أم لا ؟ ، فان قلت : ليس بقادر ، فقد أثبت عجزه وإن قلت : هو قادر على ذلك ، فالمقدور عندك لا ينزه عن شيء منه ، وإن قلت : هذا المقدور أنزهه عنه لئلا يلزم عجزه ، كان حقيقة قولك أثبت عجزه لا نفي عجزه ، فجعلته عاجزا لئلا تجعله عاجزا ، فجمعت بين النقيضين بين إثبات

العجز ونفيه ، وإنما لزمه هذا لأنه لا ينزه الرب عن فعل مقدور فاستوت
المقدورات كلها في الجواز عليه عنده ولم يحكم بثبوت مقدور إلا بالعادة أو الخبر ،
والعادة يجوز انتقاضها عنده والخبر موقوف على العلم بصدق المخبر ولا طريق له
إلى ذلك ، فتبين أن كل من لم ينزه الرب عن السوء والسفه ويصفه بالحكمة
والعدل لم يمكنه أن يعلم نبوة نبي ولا المعاد ولا صدق الرب في شيء من
الإخبار" (١). اهـ

ثم إنني سائل القدم الوقح أو المجنون الذي خرجت هذه العقيدة الفائلة من
سوانح غبائه سؤالين يدرك بهما سقوط عقيدته إن شاء الله إن كان بقي فيه مسكة
من عقل.

أما الأول: اختلف أتباعك في تكفير أو تبديع كل من يثبت الأسباب.

أليس كذلك؟

إذا...

قال محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْزِلْ
دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْمَوْتَ، وَالْهَرَمَ».

وهذا الكلام منه صريح بإثبات قوة الشفاء في الدواء، أي أنه يثبت
الأسباب!!

فما الراجح عندكم في صاحب هذا الكلام؟

(١) النبوات (٢/ ٨٨٠-٨٨٩).

أَوْ مُبْتَدِعٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ؟

والسؤال الثاني: تعتقد الفرقة الأشعرية أن الدليل الوحيد لإثبات نبوة مدعي النبوة هو المعجزة.

قال الجويني في الإرشاد: فصل: لا دليل على صدق النبي غير المعجزة. اهـ

بمعنى أن (سبب) إجراء الله للمعجزات على أيدي أنبيائه إثباتا لصدقهم

هذا معناه أن الفرقة الأشعرية تثبت الأسباب!

فيا معاشر الأشاعرة هذه الفرقة الأشعرية تثبت الأسباب فما الراجح فيها

عندكم هل هي كافرة أم مبتدعة؟!

هذا وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد

ملحوظة:

عامة النقولات عن الأشاعرة اقتبسها من بحوث من مواقعهم.

تناقض المتهوكون في تأثير الأسباب

ربي يسر وأعن برحمتك يا كريم

فإنه مع نفي الأشاعرة لتأثير الأسباب بمسبباتها ثم اختلافهم بين مكفر ومبدع لمثبتها نجد أن غالبهم ناقض هذا الأصل -الذي أصلوه- مناقضة موحشة فأثبت (أسباباً) متفقاً على تكفير أصحابها.

فما هي تلك الأسباب؟

غالب متأخري الأشاعرة - بما فيهم سبكيهم وكوثرهم - يعتقدون أن اللجوء إلى الأنبياء والأولياء الصالحين ودعائهم والاستشفاع بهم من (أعظم الأسباب) الجالبة للخير الدافعة للشر.

قال البوصيري في برده غالباً في النبي صلى الله عليه وسلم:

يا أكرم الخلق مالي من ألذبه سواك عند حدوث الحادث العمم
إن لم تكن آخذاً يوم المعاد يدي عفواً وإلا فقل يا زلة القدم

وقصيدة البوصيري سارت بها ركبان الأشاعرة سيرا ، وحازت على قصب السبق في الشرك بالله.

وقال السبكي: "اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين"^(١). اهـ

قال الكوثري متكلما عن ابن تيمية: "ومنهم من ينسبه إلى الزندقة لقوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُستغاث به"^(٢). اهـ

ومن المتأخرين شمس الدين الرملي قال: الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم... اهـ المراد^(٣).

وأيضاً يوسف بن إسماعيل النبهاني ١٣٥٠ ت ألف كتابه الأئيم "شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق" واسم الكتاب وحده ينضح بالشرك!

نقل في أول صفحة قول ابن حجر الهيتمي عن رسول الله أن: التوسل به حسن في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في الدنيا والآخرة. اهـ

ومن المعاصرين الكوثري لا رحمه الله حامل لواء التجهم والشرك حيث قال: وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا جرت الأمة طبقة فطبقة^(٤). اهـ

(١) شفاء السقام، ص ٣٥٧.

(٢) حاشية السيف الصقيل، ص ٧٢.

(٣) هامش الفتاوى الكبرى للهيتمي (٣٨٢/٤).

(٤) مجموع مقالاته، ص ٣٤٠.

وفي ص ١٥٣ كتب مقالا سمّاه "بناء مساجد على القبور والصلاة إليها" جوّز فيه تلك الوثنية.

وقال: وأما من جهة المعقول فإن أمثال الإمام الفخر الرازي، والعلامة سعد الدين التافزاني، والعلامة السيد الشريف الجرجاني، وغيرهم من كبار أئمة أصول الدين الذين يفرع إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة، قد صرحوا بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً^(١). اهـ

ومواقع القوم ومتدياتهم على الشبكة تضجّ بمثل هذه الشراكيات التي اتخذوها أسباباً كأسباب مشركي قريش

قال ابن تيمية رحمه الله: "... بخلاف دعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والملائكة والصالحين والاستغاثة بهم والشكوى إليهم فهذا مما لم يفعله أحد من السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا رخص فيه أحد من أئمة المسلمين"^(٢). اهـ

وهذا الذي بلغ بهم فساد عقلهم أن أنكروا الأسباب الحقيقية فألحقوا بالمجانين، وأثبتوا الأسباب الوثنية فألحقوا بالمشركين.

فصدق ابن القيم رحمه الله حين قال: من عصى الله بشيء عوقب بفساده.

(١) المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٢) مجموع الفتاوى (١/٢٦٤).

ذيل:

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن كل من دخل التعطيل في قلبه دخل معه الشرك فقال: ولهذا كلما كان الرجل أعظم تعطيلًا كان أعظم شركًا، ولا تجد معطلا نافيا إلا وفيه من الشرك بقدر ما فيه من التعطيل^(١). اهـ

وذكر رحمه الله سر تفشي الشرك بين أوساط المعطلة في كلام طويل ممتع، قال في خلاصته: وإذا عرف هذا فالرسل جاءوا بكمال الأمرين على أتم الوجوه فإنهم: ١ - ذكروا من صفات هذا الرب الذي تأله القلوب وتطمئن إليه الأرواح ما يكون داعيا إلى محبته ، ٢ - وأمروا الناس من توحيده وعبادته وحده لا شريك له بما إذا فعلوه أحبههم عليه، فجاءت النفاة المعارضون للوحي بعقولهم وآرائهم فوقفوا في طريق الرسل وأتوا بما يضاد دعوتهم، فنفوا صفاته التي تعرّف بها إلى عبادته، وجعلوا إثباتها تجسيدا وتشبيها، و وصفوه من السلوب والنفى بما حال بين القلوب وبين معرفته، وأكدوا ذلك بأنه لا يحب ولا يحب ولا له وجه يراه العابدون المحبون له يوم القيامة فضلا عن أن يحصل لهم لذة هناك بالنظر إليه، ولا يكلمهم ولا يخاطبهم ولا يسلم عليهم من فوقهم، فلما استقر هذا النفى في قلوبهم تعلق بغيره من أصناف المحبوبات فأشركت به في المحبة ولا بد، وكان أعظم الأسباب الحاملة لها على الشرك هو التعطيل فانظر إلى تلازم الشرك والتعطيل وتصادقهما وكونهما.

رضيحي لبان ثدي أم تقاسما بأسحم داج عوض لا تنفرق^(٢).

(١) الصواعق المرسلة (٣/١١١١).

(٢) المصدر السابق (٣/١٣٥٥ - ١٣٥٦).

فصل

في مسائل الإيمان

إرجاء جهنم

رب يسر وأعن برحمتك يا كريم

قال شيخ الإسلام قدس الله روحه: وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهنم في الإيمان.. واتبعه أكثر أصحابه على نصر قول جهنم في ذلك.

قال السبكي في سيفه الصقيل: ثم قال -أي ابن القيم-: قالوا: وإقرار العباد بأنه خلّاقهم هو منتهى الإيمان.

قال السبكي: لم يقولوا كذلك، أما أولا فإنه لا بدّ من الشهادتين، وأما ثانيا فمتهى الإيمان يشعر بالإيمان الكامل ولم يقل بهذا أحد، وأما ثالثا فقوله: (فالناس في الإيمان شيء واحد). ليس مما يحسن^(١). اهـ

وجه مشابهة الأشاعرة للجهمية في الإيمان هو حصرهم إياه في التصديق القلبي فقط.

قال الباقلاني: وأن يعلم أن الإيمان بالله عزّ وجل هو التصديق بالقلب^(٢).

(١) السيف الصقيل، ص ٣٢.

(٢) الإنصاف، ص ٣٣.

قال البيجوري:

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق^(١).

قال الجويني: والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى، فالمؤمن بالله من صدقه، ثم التصديق على التحقيق كلام النفس، ولكن لا يثبت إلا مع العلم^(٢). اهـ

وأما نفى السبكي عن طائفته أنهم يقولون بأن تصديق العبد بأن الله هو خالقه كافٍ لاستكمال الإيمان فهو لا يعدو كونه روغان ثعلب، فإن ابن القيم يتكلم عن الإيمان القلبي، الذي يسميه السبكي تصديقاً ثم ينفي عنه الزيادة والنقصان ويجعل الزيادة والنقصان فقط في الأعمال الظاهرة؛ فمذهب أهل السنة قاطبة أن الإيمان قول باللسان وتصديق وإقرار بالقلب وعمل بالجوارح، قال النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان.

جمع هذا الحديث بين أركان الإيمان الثلاثة: فدلّل النطق باللسان: «قول: لا إله إلا الله»، ودليل عمل الجوارح: «إمطة الأذى عن الطريق»، ودليل عمل القلب: «والحياء شعبة من شعب الإيمان».

(١) الجوهرة، ص ٦٧.

(٢) الإرشاد، ص ٣٩٧.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "فأشار إلى أن خصال الإيمان منها ما هو قول باللسان ومنها ما هو عمل بالجوارح ومنها ما هو قائم بالقلب ولم يزد في شيء من هذه الروايات على هذه الخصال" (١). اهـ

والدليل على كونه يزيد وينقص: قول إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

قال مجاهد وإبراهيم وسعيد بن جبیر: لأزداد إيماناً مع إيماني.

وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ.

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكي الإجماع على ذلك غير واحد" (٢). اهـ

قال الإمام الأجرى الشافعي رحمه الله: "اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح" (٣). اهـ

(١) شرح صحيح البخاري (١/٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٩).

(٣) الشريعة، ص ١٢٠.

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حاكيا مذهب الجهمية: "قالوا: الإيمان معرفة بالقلوب بالله وحده، وإن لم يكن هناك قول ولا عمل، وهذا منسلخ عندنا من قول أهل الملة الحنفية"^(١). اهـ

وعلق الكوثري في الحاشية بكلام لا يقل روغانا عن روغان خدنه السبكي، فقال: لأنه إن أراد أن الناس متساوون في الإيمان فهذا باطل، لأن من الناس من هو مؤمن ومن هو كافر، وإن أراد أن المؤمنين متساوون في الإيمان فلا يصح ذلك أيضا فإن منهم من هو كامل (الإيمان باستكمال العمل ومنهم من هو غير كامل الإيمان بإخلاله بالعمل).

تأمل قوله العمل!

ثم قال: "وإن كانوا متساوين في المؤمن به". اهـ

يعني أن الإيمان القلبي واحد عندهم لا يتفاضلون فيه بالزيادة والنقصان، ولكن الاختلاف يكون باستكمال العمل من عدمه.

قال الشيخ أبو نصر السجزي رحمه الله: ويقولون -يعني الأشاعرة-: الإيمان: التصديق، وعلى أصلهم أن من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو مؤمن، (لأمرين): أحدهما: أن أصل الإيمان عندهم المعرفة كما قال جهم.

الثاني: أن الكلام معنى في النفس فهو إذا صدق بقلبه فقد تكلم على أصلهم به^(٢). اهـ

(١) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص ٤٦.

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت، ص ١٧٨.

وقال ابن تيمية: "وهو قول لم يقله أحد من أئمة السنة، بل قد كفر أحمد بن حنبل ووكيع وغيرهما من قال بقول جهنم في الإيمان" (١). اهـ

أخي القارئ قلت في الحلقة السابقة أثناء الكلام عن عقيدة الجبر: العامي الجاهل أو الفاسق متى ما وقع في نفسه أن الله جبره على أفعاله سَوَّلَ له نفسه الانخراط في المحرمات وركوب الفواحش.. وحجته "الله كتب عليّ هذا" أو "الله يريد مني أن أفعل هذا".

وأيضاً عقيدة الإرجاء لها خطرهما العظيم في قلوب العامة، فكل واحد منا مر عليه ذاك الموقف المستفز لما تعظ شخصا واقعا في ذنب ما سواء كان حليقا أو مدخنا أو حتى تاركا لصلاته؛ فينظر إليك بوجوم أو بابتسامة تافهة ثم يقول: الإيمان في القلب!

ومقصده: يكفي أن باطني سليم!

فلما يجتمع الجبر العالي والإرجاء العالي في عقيدة يقوم علماءها بنشر خلاصاتها وسمومها في قلوب العامة فعلى الفضيلة السلام.

هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد.

إرجاء جهنم ٢

ربي يسر وأعن برحمتك يا كريم

قال الشهرستاني الأشعري: واختلف جواب أبي الحسن رحمه الله في معنى التصديق فقال مرة هو (المعرفة) بوجود الصانع وإلهيته وقدمه وصفاته وقال مرة التصديق قول في النفس يتضمن المعرفة..^(١) اهـ المراد.

وقال: قال أبو المعالي -الجويني الأشعري-: "باب في ذكر الأسماء والأحكام... وأما مذاهب أصحابنا فصار أهل التحقيق من أصحاب الحديث والنظار منهم إلى أن الإيمان هو التصديق، وبه قال شيخنا أبو الحسن رحمه الله عليه واختلف رأيه في معنى التصديق وقال مرة: (المعرفة بوجوده وقدمه وإلهيته) وقال مرة: التصديق قول في النفس غير أنه (يتضمن المعرفة) ولا يصح أن يوجد دونها"^(٢) اهـ

قال ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى: "وأیضا فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد الذي يجعل قول القلب أمر دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئاً لا يتصور الفرق بينهما، وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب

(١) نهاية الإقدام، ص ١٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٥/٧).

وتصديقه، ويقولون إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق" (١). اهـ

وقال: "والمرجئة ثلاثة أصناف الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه، وذكر فرقا كثيرة يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل أقوالهم، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحى (وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه)" (٢). اهـ

أخي المحب!

طريق مخالفة الجهمية والمعتزلة في الظاهر ومشابهتم في الباطن طريق مسلك بقوة عند الأشعرية كما مضى في المقالات السابقة وفي المقالات القادمة إن شاء الله تعالى.

ولعظم تلك المشابهة قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي عنهم: ثقلت عليهم الوحشة -أي على الجهمية الأوائل-، وطالت عليهم الذلة، وأعيتهم الحيلة؛ إلا أن يظهروا الخلاف لأوليهم والرد عليهم، ويصبغوا كلامهم صبغاً يكون ألوح للأفهام، وأنجع في العوام من أساس أوليهم؛ ليجدوا بذلك المساغ، ويتخلصوا من خزي الشناعة.

(١) مجموع الفتاوى (٣٩٨/٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩٥/٧).

فجاءت بمخاريق تراءا للغبي بغير ما في الحشايا، ينظر الناظر الفهم في
جذرها؛ فيرى مخ الفلسفة بكساء لحاء السنة، وعقد الجهمية بنحل ألقاب
الحكمة^(١). اهـ

(١) ذم الكلام، ص ٦٠٨.

فصل

**في مكانة الحديث النبوي
وحملته عند الرجلين،
ومعرفتهم فيه**

(الذين جعلوا القرآن عضين)

ربي يسر وأعن برحمتك يا كريم

فقد تكلم السبكي - في سيفه الصقيل - ناطقا بلسان أصحابه الأشاعرة يزعم أن رواة الحديث ظهر فيهم رجال ظاهرهم الصلاح والعلم والدعوة إلى الله، وباطنهم الضلال والكذب والمكر؛ اندسوا "بين صالحى رواة الأعراب ومواليهم!!" ليدخلوا ما اختلقوه من مرويات بين مروياتهم.

(هكذا أطلق الإمام المحقق الأمر على عواهنه فلم يسمّ شخصا من هؤلاء الدخلاء الأشرار).

ثم زعم أن هذه المرويات راجت عند سدج أهل الحديث، بل صنف بعضهم فيها تصانيفا.

والمقصود أصالة بهذه الأحاديث التي احمرّ أنف السبكي منها أحاديث الصفات، وسيأتي إن شاء الله شيئا من نصّ كلامه، وسأذكر من المقصود بهؤلاء السدج إن شاء الله.

وسأذكر إن شاء الله أربعا من طبائع وأحوال هذه النصوص يتبين بها للجهمية وهن مسعاهم وتقلب سحرهم عليهم.

فأولا: تواتر الأدلة الشرعية بمجموعها وتنوعها في الإشارة إلى الصفات.

كثرة الأدلة المشيرة إلى وجود صفات فمثلا أدلة تثبت العلو وأخرى تثبت الكلام، وأخرى تثبت السمع، والبصر، والغضب، والضحك، والحنان.. إلخ وجود هذه الأدلة كلها مع صدق المتكلم بها وقوة بيانه وأن الكتاب الذي فيه جاءت وصف بأنه ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وأنه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ وأن الذي نُقِلَ لنا على لسانه لا ينطق عن الهوى؛ ومع عدم وجود أدلة صحيحة صريحة تناقض هذه الأدلة التي بين أيدينا، كل هذا يعطي يقينا قويا بوجود هذه الصفات حقيقة.

"ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا".

ثانيا: غالب الصفات التي وردت في الآثار منصوص عليها في القرآن.

فمسلك ردّ الأحاديث بأنها آحاد لمجرد أنها خالفت العقل الذي حوكت عنده لا فائدة من ورائه!! إذ أن كثيرا من الأحاديث التي سُرِّدُ بهذه الطريقة يوجد ما يعضدها من القرآن، وليس للمخالف إلا أن يعود إلى مسلك التأويل وصرف الظاهر المتبادر إلى الأذهان وهو الذي رددنا عليه في النقطة الأولى.

وهذه النقطة مبطللة أيضا لأسطورة وجود أحاديث دسها الملاحدة في كتب أهل الحديث!! إذ أن عامة الأحاديث المقصودة موجودة شواهدا في القرآن.

ثالثا: أخذنا ديننا عن هؤلاء الصحابة.. منهم رضوان الله عليهم أخذنا علم الطهارة والصلاة والزكاة والحج والعلم بالله تعالى وصفاته فهم الذين عايشوا

النبي صلى الله عليه وسلم فحفظوا لنا منه هذه العلوم، ووصاهم النبي صلى الله عليه وسلم تبليغها من بعدهم، ثم أخذها عنهم التابعون كل مدرسة تروي أحاديث معلمها و كثيرا ما يحصل بين المدارس اتفاق من غير تواطؤ على أخبار معينة.

قال عباد بن العوام: قدم علينا شريك فسألناه عن الحديث، «إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان»، قلنا: إن قوما ينكرون هذه الأحاديث -يعني أحاديث الصفات-، قال: فما يقولون؟، قلنا: يطعنون فيها!، فقال: إن الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرآن وبأن الصلوات خمس وبحج البيت وبصوم رمضان فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث!! اهـ

فأخذ علم الفروع عن هؤلاء وترك علم الأصول تناقض وتحكم!!

رابعا: أحاديث الصفات كتبها ورواها أئمة انتهى إليهم العلم.

فالكاتب التي بين أيدينا المروي فيها أحاديث الصفات صنفها أئمة مشهود لهم بالإمامة في الدين فأشهرها الصحيحين والمسند والموطأ ثم السنن الأربعة، وكل من هؤلاء كان عالما بالحديث عالما بعلمه^(١) وسلاسل الرجال التي رويت فيها الأحاديث ممتلئة برجال لا يختلف في إمامتهم كلهم يروي هذه الأحاديث طيب بها قلبه.

بل بعضهم يروي عنه الحديث ويروي عنه ما يؤيد الحديث من كلامه، وبعضهم يروي عنه الحديث ويروي عنه تصحيحه له واعتقاده ما فيه.

(١) مجمع فتاوى ابن تيمية مجموع الفتاوى (١٦/٥).

٤٠٥ - قال أبو الحسن: سمعت عبد الله يقول سمعت بعض المشايخ يقول سألوا وكيعا عن أحاديث الرؤية فحدث بها، ثم قال: "غموا الجهمية بهذه الأحاديث" مرتين.

قال عبد الله بن أحمد: سئل عما روي في الكرسي وجلوس الرب عز وجل عليه؟

رأيت أبي رحمه الله يصحح هذه الأحاديث أحاديث الرؤية ويذهب إليها وجمعها في كتاب وحدثنا بها. اهـ

قال رحمه الله: ٥٠٩ - حدثني أبي، نا وكيع، بحديث إسرائيل عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن عمر رضي الله عنه قال: "إذا جلس الرب عز وجل على الكرسي" فاقشعر رجل سماه أبي عند وكيع فغضب وكيع وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث لا ينكرونها.

فعمّن أخذتم أنتم دينكم؟!!

فانظر كيف ردّ وكيع على من احمر أنفه من حديث الجلوس، وكيف استدل عليه بقبول الأعمش وسفيان لها؛ فمن أنت حتى تنكر؟!!

فكيف بالأشاعرة الذين شابت مفارقهم من أحاديث العلو والكلام وسائر صفات الأفعال؟!!

"فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفيا وإثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة؛ ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من

الصفات فصفوه به، سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به" (١).

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله: "فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: لَقَدْ تَأَوَّلْتَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى خِلَافِ مَا أَرَادَ، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَفْشُو الْحَدِيثُ عَنِّي» عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ يَتَدَاوَلُهُ الْحِفَاطُ مِنَ النَّاسِ وَالصَّادِقُ، وَالْكَاذِبُ، وَالْمُتَّقِنُ، وَالْمُعْضِلُ، وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَدْ تَبَيَّنَ مَا قَالَ فِي الرُّوَايَاتِ، وَلِذَلِكَ يَنْتَقِدُهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِهَا، فَيَسْتَعْمِلُونَ فِيهَا رِوَايَةَ الْحِفَاطِ الْمُتَّقِنِينَ، وَيَدْفَعُونَ رِوَايَةَ الْغَفْلَةِ النَّاسِينَ، وَيُزَيِّفُونَ مِنْهَا مَا رَوَى الْكَذَّابُونَ. وَلَيْسَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ الْإِخْتِيَارُ مِنْهَا، وَلَا كُلُّ النَّاسِ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِضَهَا عَلَى الْقُرْآنِ، فَيَعْرِفَ مَا وَافَقَهُ مِنْهَا مِمَّا خَالَفَهُ، إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى الْفُقَهَاءِ، الْعُلَمَاءِ الْجَهَابِذَةِ النَّقَادِ لَهَا الْعَارِفِينَ بِطُرُقِهَا وَمَخَارِجِهَا، خِلَافَ الْمُرَيْسِيِّ وَاللُّؤْلُؤِيِّ وَالشَّلْجِيِّ وَنُظَرَائِهِمُ الْمُسْلَخِينَ مِنْهَا، وَمَنْ مَعْرِفَتِهَا، وَمِمَّا يُصَدِّقُهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ أَخَذْنَا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ نَقْبَلْ مِنْهَا إِلَّا مَا رَوَى الْفُقَهَاءُ الْحِفَاطُ الْمُتَّقِنُونَ، مِثْلُ: مَعْمَرٍ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَزُهَيْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَزَائِدَةَ، وَشَرِيكَ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَابْنَ الْمُبَارَكِ، وَوَكَيْعٍ، وَنُظَرَائِهِمُ الَّذِينَ اشْتَهَرُوا بِرِوَايَتِهَا وَمَعْرِفَتِهَا وَالتَّفَقُّهِ فِيهَا خِلَافَ تَفَقُّهِ الْمُرَيْسِيِّ، وَأَصْحَابِهِ، فَمَا تَدَاوَلَ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةُ وَنُظَرَاؤُهُمْ عَلَى الْقَبُولِ قَبْلَنَا، وَمَا رَدُّوهُ رَدِّدْنَاهُ، وَمَا لَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ تَرَكْنَاهُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ، وَأَبْصَرَ بِمَا وَافَقَهُ مِنْهَا مِمَّا خَالَفَهُ مِنَ الْمُرَيْسِيِّ وَأَصْحَابِهِ، فَاعْتَمَدْنَا

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/٥).

عَلَى رِوَايَاتِهِمْ، وَقَبِلْنَا مَا قَبِلُوا، وَزَيَّفْنَا مِنْهَا مَا رَوَى الْجَاهِلُونَ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا
الْمُعَارِضِ، مِثْلَ الْمُرَيْسِيِّ وَالثَّلْجِيِّ وَنُظَرَائِهِمْ^(١). اهـ

قال السبكي: وإنما يكون التعويل في كل علم على أئمة دون من سواهم،
لأنهم من يكون إماما في علم كثيرا ما يكون بمنزلة العامي في علم آخر، فإذا لا
يعول في العقائد إلا على أئمة أصول الدين لا على الرواة (البعيدون النظر)، (وكم
بينهم من يُرثى لمداركه حيث يقل عقله عن عقول الأطفال وإن بلغ في السن مبلغ
الرجال)، (ومن طالع ما ألفه بعض الرواة على طول القرون من كتب التوحيد
والصفات والسنة والردود على أهل النظر يشكر الله على النور الذي أفاضه على
عقله حتى نبذ مثل تلك الطامات بأول نظرة). اهـ ما فاه به من باطل.

ومن الرواة الذين صنفوا في توحيد الله ويشملهم إطلاقه: البخاري (حيث
ضمّن صحيحه كتاب التوحيد وذكر فيه أحاديث الصفات يرد على أهل النظر)،
والدارمي عثمان بن سعيد (له كتاب الرد على الجهمية وكتاب النقض)، والنسائي
(كتاب النعوت)، عبدالله بن الإمام أحمد (السنة - وضمّنه كلام والده في
الصفات-) ابن أبي حاتم (كتاب الرد على الجهمية)، وابن خزيمة (كتاب
التوحيد)، والدارقطني (كتاب الصفات، كتاب النزول، كتاب رؤية الله!!)
وغيرهم كثير.

(١) نقض الدارمي

إشكالات حديثية عند الرجلين

ربي يسر وأعن برحمتك يا كريم

فلعل هذا الورقات ستكون آخر سهم أدخره في كنانتي أصوبه نحو نعش الرجلين.

وستدور رحى الكلمات حول إشكالات حديثية وقع فيها الكوثري في حاشيته كان باعثها الهوى البين، و(لعل) لن أتطرق إلى الرجل الآخر لأن كلامه غالبه تعديد وعويل لا أكثر وإنما الشأن في الكوثري الذي أطلق عنان قلمه في تسطير ما يمليه عليه إبليس اللعين من شبهات تروج عند نفوس ذوي النقص.

رب يسر وأعن برحمتك يا كريم

١ - قال السبكي: ثم قال -ابن القيم-: واذكر حديثا في صحيح محمد ذاك البخاري فيه نداء الله يوم معادنا بالصوت. اهـ

ثم علق زاهد في الحاشية: وإن كان يريد حديث أبي سعيد الخدري: "يقول الله يا آدم، يقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت إن الله يأمرك..."، الحديث، فلفظ ينادى فيه على صيغة المفعول جزما بدليل "إن الله يأمرك" ولو كان على صيغة الفاعل لكان إني آمرك، كما لا يخفى أن لفظ (صوت) انفرد به حفص بن غياث

وخالفه وكيع وجريير وغيرهما فلم يذكروا الصوت، وسئل أحمد عن حفص هذا فقال: كان يخلط في حديثه^(١). اهـ

قلت:

أولاً: الحديث صريح في أن الله ينادي آدم عليه السلام، لأنه قال في بدايته: يقول الله. اهـ حتى إن سلمنا أن تتمه "إن الله يأمرك" يقولها غير الله

ثانياً: حفص بن غياث يرويه عن الأعمش وهو من أوثق أصحاب الأعمش، قال إسحاق بن منصور، وأحمد بن سعد بن أبي مريم عن يحيى بن مَعِين: حفص بن غياث ثقة.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَجَلِي: ثقة مأمون فقيه وكان وكيع ربما سئل عن الشيء فيقول: اذهبوا إلى قاضينا فاسألوه، وكان شيخاً عفيفاً مسلماً.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ خَرَّاشٍ: "بلغني عن علي ابن المديني، قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: أوثق أصحاب الأعمش حفص بن غياث. فأنكرت ذلك، ثم قدمت الكوفة بأخرة، فأخرج إلي عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ كِتَابَ أَبِيهِ عَنِ الْأَعْمَشِ، فَجَعَلْتُ أَتَرَحَّمُ عَلَى يَحْيَى، فَقَالَ لِي: تَنْظُرُ فِي كِتَابِ أَبِي وَتَتَرَحَّمُ عَلَى يَحْيَى؟ قُلْتُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: حَفْصٌ أَوثَقُ أَصْحَابِ الْأَعْمَشِ وَلَمْ أَعْلَمْ حَتَّى رَأَيْتُ كِتَابَهُ"^(٢). اهـ

(١) السيف الصقيل، ص ٥١.

(٢) تهذيب الكمال ٦١/٧

إذا تفرد لا يضر الحديث شيئاً، ونقل قول أحمد: كان يخلط. اه دون النظر في باقي أقوال العلماء اجتزاء غير نزيه.

ثم: هل يكون نداء بلا صوت؟!

٢- قال الكوثري عن حديث الجارية الذي رواه مسلم: وراوي هذا الحديث عن ابن الحكم هو عطاء بن يسار، وقد اختلفت ألفاظه فيه، ففي لفظ «فمد النبي صلى الله عليه وسلم يده إليها وأشار إليها مستفهما من في السماء..» الحديث، فتكون المحادثة بالإشارة على أن اللفظ يكون ضائعا مع الخرساء الصماء فيكون اللفظ الذي أشار إليه الناظم والمؤلف لفظ أحد الرواة على حسب فهمه لا لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم، ومثل هذا الحديث يصح الأخذ به فينا يتعلق لاعمل دون الاعتقاد، ولذا أخرجه مسلم في باب تحريم الكلام في الصلاة -دون كتاب الإيمان- حيث اشتمل على تشميت العاطس في الصلاة ومنع النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، ولم يخرج البخاري في صحيحه وأخرج في جزء خلق الأفعال ما يتعلق بتشميت العاطس من هذا الحديث مقتصرًا عليه دون ما يتعلق بكون الله في السماء^(١). اه

قلت:

أولاً: الحديث صححه البيهقي الأشعري في سننه الكبرى ١٥٠٤٣، والبيهقي نفسه - الذي يعده الرجال إماماً - يعتقد ما في الحديث من معنى يراه الرجال شناعة وكفراً.

(١) السيف الصقيل، ص ٨٢.

قال البيهقي باب القول في الاستواء، قال الله تبارك وتعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، والعرش هو السرير المشهور فيما بين العقلاء، وقال الله عز وجل ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾... وقال ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾... وقال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، إلى سائر ما ورد في هذا المعنى، وقال ﴿أَمْنُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾، وأراد من فوق السماء، كما قال ﴿وَلَا صَلْبَتْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ يعني على جذوع النخل... وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السموات، فمعنى الآية والله اعلم: أمنتكم من على العرش. كما صرح به في سائر الآيات^(١). اهـ

ثانيا: مالك رحمه الله إمام في هذا الشأن وقد روى هذا الحديث في موطنه.

ثالثا: تابع مالك في روايته الحافظ الثقة يحيى بن أبي كثير بنفس اللفظ.

قال المزي: وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ ابْنِ الْمَدِينِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: قَالَ أَيُّوبُ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَعْدَ الزُّهْرِيِّ أَعْلَمَ بِحَدِيثِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ.

وَقَالَ الْمُنْذِرُ بْنُ شَاذَانَ الْمُقَرِّي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ الزُّهْرِيِّ أَعْلَمَ مِنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْقَطَانِ: سَمِعْتُ شُعْبَةَ يَقُولُ: يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ أَحْسَنَ حَدِيثًا مِنَ الزُّهْرِيِّ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْمُقَرِّي، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ سَلْمَانَ، كَانَ شُعْبَةَ يَقْدُمُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ عَلَى الزُّهْرِيِّ.

(١) الاعتقاد، ص ١١٦.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، عَنْ أَبِيهِ: يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ مِنْ أَثْبَتِ النَّاسِ،
إِنَّمَا يَعْدُ مَعَ الزُّهْرِيِّ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، فَإِذَا خَالَفَهُ الزُّهْرِيُّ فَالْقَوْلُ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ أَبِي
كَثِيرٍ^(١). اهـ

فتأمل أئمة الشأن يضعون يحيى بمصافٍ من!!

فمالك الجبل ويحيى بن أبي كثير يتفقان على رواية فمن خالفهم بالتأكيد تكون
روايته هي الشاذة وروايتهم الراجحة، فتبطل بهذه النقطة شبهة الاضطراب.
وشيوخ مالك ويحيى هلال بن علي بن أسامة مدني، ومالك ويحيى كانوا
أصحاب انتقاء في الشيوخ خاصة المدنيين فلا يروون إلا عن ثقة وروايتهم عن
هلال توثيق له.

وقال الدارقطني هلال ابن علي ثقة وقال مسلمة في الصلة ثقة قديم^(٢). اهـ

ثم عطاء بن يسار وهو معروف تابعي ثقة حافظ.

بقي الصحابي معاوية بن الحكم، وقد قال عنه الكوثري: وصاحب القصة لم
يكن من فقهاء الصحابة، ولا له سوى هذا الحديث في التحقيق، بل كان أعرايا
يتكلم في الصلاة^(٣). اهـ

قلت: تأمل كيف جر الجركسي هواه الأشعري إلى التنقص من صحابي بهذا
الأسلوب الفج؟!

(١) تهذيب الكمال ٥٠٨/٣١

(٢) تهذيب التهذيب (٧٢/١١).

(٣) السيف الصقيل، ص ٨٣.

تبا لتلك الملة!

هو رجل يحكي قصة حدثت معه، ما دخل أعرابيته وكلامه في الصلاة؟!

ويجدر التنبيه أن هذا الجرکسي عندما يرى رأيا فإنه يحطم كل شيء يحول دون إثبات رأيه هذا وقد يفعل هذا حتى مع بعض من يعظمهم! (فإن احتددت عليه فهذا مقام يستحقه من يتنقص من رب العالمين جل في علاه ومن رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابة رسوله رضوان الله عليهم).

رابعا: الحديث استدل به الإمام الشافعي رحمه الله كما في كتاب الأم، قال: وَأَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ لَا يُعْتَقَ إِلَّا بِالْغَةِ مُؤْمِنَةً فَإِنْ كَانَتْ أَعْجَمِيَّةً فَوَصَفَتْ الْإِسْلَامَ أَجْزَأَتْهُ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِلَالِ بْنِ أَسَامَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ قَالَ «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ جَارِيَةً لِي كَانَتْ تَرَعَى غَنَمًا لِي فَجِئْتُهَا وَفَقَدْتُ شَاةً مِنَ الْغَنَمِ فَسَأَلْتُهَا عَنْهَا فَقَالَتْ أَكَلَهَا الذُّبُّ فَأَسِفْتُ عَلَيْهَا وَكُنْتُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَطَمْتُ وَجْهَهَا وَعَلَيَّ رَقَبَةٌ أَفَاعَتْقُهَا؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَيْنَ اللَّهُ؟ فَقَالَتْ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ مَنْ أَنَا؟ فَقَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ فَأَعْتَقْتُهَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْحَكَمِ أَشْيَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الْكُهَانَ فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - لَا تَأْتُوا الْكُهَانَ فَقَالَ عُمَرُ، وَكُنَّا نَتَطَيَّرُ فَقَالَ إِنَّمَا ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدِّدُكُمْ».

قَالَ الشَّافِعِيُّ: رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اسْمُ الرَّجُلِ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ كَذَلِكَ رَوَى
الزُّهْرِيُّ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ^(١). اهـ

فهو عنده صحيح المعنى، وتأمل قوله: وصفت الإيمان.

بأن تؤمن أن إلهها في العلو المطلق.

ثم قول الكوثري: وليس في رواية الليثي عن مالك لفظ «فإنها مؤمنة». اهـ

فلا أعلم ما وجه الاستدلال!، لأن مالك رحمه الله أخرج الحديث في: باب

ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة. اهـ

ومذهبه أن الرقبة التي تجزئ هي الرقبة المؤمنة، فمجرد قول النبي صلى الله

عليه وسلم للرجل: أعتقها. إذا يفهم العاقل أنها مؤمنة!

وأما قوله: فالروايات على رجل مبهم محمولة على ابن الحكم، ولم يصح حديث

كعب بن مالك ولا حديث يروى عن امرأة، فمالك يرويه عن عمر بن الحكم غير مقرر

بأن يكون غلطاً فيه، ومسلم عن معاوية بن الحكم... ولفظ ابن شهاب في موطأ

مالك: عن أنصاري، وهو صاحب القصة في الرواية الأولى... إلخ.

قلت: يريد بهذا الهذيان أن يثبت اضطرابهم في الصحابي صاحب القصة

وبالتالي نكارة الحديث!

ويعلم كل من درس شيئاً من علم الحديث أن الاختلاف في تعيين اسم

الصحابي مع صحة الإسناد علة غير مؤثرة هذا أولاً.

(١) الأم (٦/٧٠٧).

وأما ثانيا: قال ابن حجر في التقریب: عمر بن الحكم السلمي صوابه معاوية وهم فيه مالك. اه يعني أن مالكا رحمه الله أخطأ لما جعله عمر وإنما هو معاوية.

وقال ابن الأثير في ترجمة عمر بن الحكم: أَخْرَجَهُ -أي حديث الجارية- ابْنُ مَنْدَه، وَأَبُو نُعَيْمٍ، وَقَالَ ابْنُ مَنْدَه: وَهَذَا مِمَّا وَهَمَ فِيهِ مَالِكٌ، وَالصَّوَابُ: مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ، هَكَذَا قَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ، وَالْبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُمَا^(١). اه

فإذا تبين أن الحديث صحيح فالتأويلات التي نقلها عن أصحابه المعطلة فليضعها في مكانها اللائق (فلا داعي للانشغال بردها فإثبات حق واحد يدمر ألف باطل).

٣- قال الترمذي في جامعه: ٣١٠٩- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدْسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: الْعَمَاءُ: أَيُّ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ».

ثم قال: هذا حديث حسن.

علق الكوثري: أما حديث أبي رزين ففي سنده حماد بن سلمة مختلط^(٢). اه

قلت

أولاً: وصف الإمام حماد بهذا الوصف على الإطلاق ضرب من الهراء.

(١) أسد الغابة (٤/١٣٧).

(٢) السيف الصقيل، ص ٨٤.

فأحاديثه بشكل عام يعتبر بها وكل حديث ينظر له نظرة خاصة.
والإمام كان له خصوصية في أحاديث العقيدة فيحفظها لأنه كان بها أشد
اهتماما.

قال الإمام أحمد: وحماد بن سلمة لا أعلم أحدا أروى في الرد على أهل البدع
منه^(١).

وَقَالَ حجاج بن المنهال: حَدَّثَنَا حماد بن سلمة، وكان من أئمة الدين. اهـ
وذكر ابن تيمية أن الإمام أحمد قال: أحاديث حماد بن سلمة هي الشجى في
حلوق الجهمية. اهـ

ثم قال الكوثري: ويعلى بن عطاء تفرد به عن وكيع بن حذس أو عدس وهو
مجهول الصفة. اهـ

وكيع بن حذس ذكره بن حبان في ثقاته، وقال عنه في مشاهير علماء
الأمصار^(٢): من الأثبات. اهـ

وقال عنه الجوزقاني في الصحاح والمشاهير^(٣): صدوق صالح الحديث. اهـ
وحسن الإمام الترمذي أحاديثه.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام، وذكر الباب الذي، يروي فيه الرؤية
والكرسي وموضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، وأين كان

(١) تهذيب الكمال (٢٥٩/٧).

(٢) ص ٩٧٣.

(٣) (٢٣٢/١).

ربنا قبل أن يخلق السماء، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك عز وجل قدمه فيها فتقول: قط قط، وأشبه هذه الأحاديث، فقال: هذه الأحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه وكيف ضحك؟ قلنا لا يفسر هذا ولا سمعنا أحدا يفسره^(١). اهـ

والحديث كل الناس روه فليس فيه ما يستنكر، بل هو موافق لقوله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

قال الطبري في تفسيره:

١٧٩٧٥ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، قبل أن يخلق شيئاً.

١٧٩٧٨ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض.

١٧٩٧٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، قال: هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض.

(١) الصفات للدارقطني

١٧٩٨٠ - حدثني المشني قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن يعلى بن عطاء. عن وكيع بن حُدُس، عن عمه أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «في عَمَاءٍ، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء».

١٧٩٨٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس عن قول الله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، قال: على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح.

قال الدارمي: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثنا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "بَدَأَ الْخَلْقَ الْعَرْشُ وَالْمَاءُ"^(١). اهـ

فهذه آثار السلف بهذا الصدد كلها موافقة للحديث.

والإمام إسحاق بن راهويه يقول في تفسيره للحديث: و: قوله: «في عماء قبل أن يخلق السموات والأرض»، تفسيره عند أهل العلم أنه كان في عماء يعني سحابة^(٢). اهـ

وتفسيره له يدل على تصحيحه.

٤ - قال الكوثري: وقد سئم أهل العلم من كثرة ما يرد من طريق حماد بن سلمة من الروايات الساقطة في صفات الله سبحانه، وقد روى أبو بشر الدولابي الحافظ، عن ابن شجاع، عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن مهدي، أنه قال: كان حماد بن

(١) نقض عثمان بن سعيد

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة

سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث حتى خرج خرجة إلى عبدان فجاء وهو يرويه، فلا أحسب إلا شيطاناً خرج إليه في البحر فألقاها إليه^(١). اهـ

قلت: شيخ الدولابي هو محمد بن شجاع الثلجي، عن أبي علي عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان، أنه سأل أحمد بن حنبل عن ابن الثلجي، فقال: مبتدع، صاحب هوى.

وقال: السري بن مكرم المقرئ، قال: بعث المتوكل إلى أحمد بن حنبل يسأله عن ابن الثلجي ويحيى بن أكرم في ولاية القضاء، فقال: أما ابن الثلجي فلا ولا على حارس.

وقال زكريا بن يحيى الساجي: فأما محمد بن شجاع الثلجي فكان كذاباً، احتال في إبطال الحديث عن رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورده؛ نصرته لأبي حنيفة ورأيه.

قال أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الحافظ: محمد بن شجاع الثلجي البغدادي كذاب، لا تحل الرواية عنه؛ لسوء مذهبه، وزيفه عن الدين^(٢). اهـ

قال العقيلي: محمد بن شجاع النبhani مروزي حدثني عبد الله بن محمد بن سعدويه المروزي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن بشير المروزي، حدثنا سفيان بن عبد الملك قال: سمعت ابن المبارك يقول: محمد بن شجاع ليس بشيء، ولا يعرف الحديث. حدثني الفضل بن عيسى الهاشمي، حدثنا هدية بن عبد الوهاب،

(١) السيف الصقيل، ص ٨٤.

(٢) تاريخ بغداد (٣/٣١٥).

حدثنا الفضل بن موسى قال: قال عبد الله بن المبارك: اخرج إلى هذا الشيخ، فأتيتني بحديثه، يعني محمد بن شجاع، قال: فذهبت أنا وأبو تميلة، فأتيت به حديثه، فنظر ابن المبارك في حديثه، فقال: لا إله إلا الله، ما أحسن حديثه. حدثني آدم قال: سمعت البخاري قال: محمد بن شجاع النبھاني مروزي سكتوا عنه. حدثنا يحيى بن عثمان، حدثنا نعيم بن حماد قال: محمد بن شجاع ضعيف، أخذ ابن المبارك كتبه وأراد أن يسمع منه، فرأى منكرات فلم يسمع منه^(١). اهـ

والطعن في العقيلي لهذا الكلام هراء إذ أنه لم يقل شيئاً من عنده بل روى أحكام الأئمة على الرجل.

وسكتوا عنه عند البخاري تعني الهلكة.

وقول ابن المبارك: ما أحسن حديثه. اهـ يعني ما أغربه؛ إذ أن بعض الأئمة كان يطلق لفظ فلان حسن الحدث = يعني أحاديثه غرائب. والدليل هو الأثر الأخير في النقل عن الإمام نعيم بن حماد.

فرجل هذا حاله أننا لنا قبول روايته؟!!

ودفاع الكوثري عنه لا يزيد جرحه إلا جرحاً فقد دافع فقط عن جهميته التي بوأته عند الله منازل الظالمين.

والإمام حماد بن سلمة قد ذكرنا حاله عند أهل الشأن رضوان الله عليهم.

(١) الضعفاء للعقيلي

قال يحيى بن معين: إذا رأيت إنسانا يقع في عكرمة، وفي حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام^(١). اهـ

٥- قال الكوثري: وكان ابن شجاع يحذر الرواة من الأخذ بروايات تالفة أدخلها الوضاعون على بعض شيوخ الرواية فيرد عليه عثمان بن سعيد الدارمي المجسم قائلا: كيف يجد الوضاعون سبيلا إلى الإدخال على شيوخ الرواية. اهـ

قلت: صدق الدارمي رحمه الله، فإن شيوخ الرواية من يتصور تعاملهم مع الأحاديث يعرف استحالت الإدخال عليهم، والإدخال في كتاب الشيخ حصل مع بعض الرواة وميزهم الأئمة عن غيرهم.

٦- قال الكوثري: وحديث إجراء الخيل كان ذائعا بين شيوخ الرواية من الحشوية حتى يشكو من ذلك ابن قتيبة مر الشكوى في (الاختلاف في اللفظ) وهو معاصر لابن شجاع. اهـ

قلت: لو راج حديث الخيل على المحدثين لوجدته مخرجا ولو في بعض مصنفاتهم، ولكن لن تجده إلا في كتب الموضوعات وذكره الدارمي الذي يرميه الجركسي بالتجسيم.

قال الإمام الدارمي: وَاحْتَجَّ الْمُعَارِضُ أَيْضًا لِمَذْهَبِهِ الْأَوَّلِ بِحَدِيثِ مُسْتَنْكَرٍ تَعَجَّبَ الْجُهَّالُ مِنْهُ، وَيُؤْهِمُهُمْ أَنَّ مَا رَوَى أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الرِّوَايَاتِ الصَّحَّاحِ الْمَشْهُورَةِ وَمَا يُنْقَضُ بِهَا عَلَى الْجَهْمِيَّةِ فِي الرُّؤْيَةِ وَالنُّزُولِ وَسَائِرِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مُسْتَنْكَرٌ مَجْهُولٌ مَهْجُورٌ مِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ، فَرَعِمَ أَنَّ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ رَوَى عَنْ أَبِي

(١) تهذيب الكمال (٧/٢٦٣).

المُهْزَمِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِمَّ رَبُّنَا؟ فَقَالَ: «مِنْ مَاءٍ مَرُورٍ لَا مِنْ أَرْضٍ وَلَا مِنْ سَمَاءٍ، خَلَقَ خَيْلًا فَأَجْرَاهَا فَعَرَقَتْ فَخَلَقَ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعِرَاقَ».

فَيَقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: لَوْ كَانَ لَكَ فَهْمٌ وَعَقْلٌ لَمْ تَكُنْ تُذْبِعُ فِي النَّاسِ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي لَا أَصْلَ لَهُ عِنْدَ الْعُلَاءِ، وَلَمْ يَرَوْهُ عَنْ حَمَّادٍ إِلَّا كُلُّ مَقْرُوفٍ فِي دِينِهِ، فَيُظَنُّ بَعْضُ مَنْ يَسْمَعُهُ مِنْكَ أَنَّ لَهُ أَصْلًا، فَيُضِلُّ بِهِ أَوْ يَضِلُّ، وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يُعْرَفُ لَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ ابْنِ سَلَمَةَ، وَلَا نَذْرِي مِنْ أَيْنَ وَقَعَ إِلَى الْمُعَارِضِ؟ وَمِمَّا يَسْتَنْكَرُ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّهُ مُحَالٌ الْمَعْنَى بَلْ هُوَ كُفْرٌ لَا يَنْقَادُ وَلَا يَنْقَاسُ، فَكَيْفَ خَلَقَ الْخَيْلَ الَّتِي عَرَقَتْ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ فِي دَعْوَاكَ؟.

وَيُنْحَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! إِنَّا نُكْفِّرُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، فَكَيْفَ مِنْ قَالَ: نَفْسُهُ؟، لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَمَّا ثَوَّرَ عَلَى قُلُوبِ الْجُهَّالِ، مِمَّا لَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَيْهِ، فَعَمَّنْ رَوَيْتَهُ؟ عَنْ حَمَّادٍ؟ وَمِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ فَسَمِعَهُ لَنَا نَعْرِفُهُ، فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ الْأَوَّلَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، فَكَيْفَ كَانَ هَذَا الْعَرَقُ قَبْلَهُ، حَتَّى خَلَقَ مِنْهُ نَفْسَهُ؟ وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يُجْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرِهِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بَاطِلٌ.

ثُمَّ لَمْ تَرْضَ بِمَا قُلْتَ وَرَوَيْتَ مِمَّا تُشْنَعُهُ، حَتَّى ادَّعَيْتَ لَهُ تَفْسِيرًا عَنْ إِمَامِكَ الثَّلَجِيِّ أَنَّهُ قَالَ: يَحْتَمِلُ تَأْوِيلُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ الْكُفَّارُ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ آلِهَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذَلِكَ أَنَّ كُفْرَاءَهُمْ وَأَخْبَارَهُمْ كَانُوا عِنْدَهُمْ كَالْأَرْبَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فَيَقَالُ هَذَا الثَّلْجِيُّ الْجَاهِلُ: وَيَلْكُ! يَخْلُقُ اللَّهُ أَوْلَيْكَ الْأَخْبَارَ وَالرُّهْبَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا مِنْ عَرَقِ الْخَيْلِ الَّذِي أَجْرَى. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنَ الْأَرْضِ، وَذُرِّيَّتَهُ مِنْ نَسْلِهِ؟.

أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَيُّهَا الثَّلْجِيُّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَخْبَارَ وَالرُّهْبَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ أَوْ لَمْ يَدْرِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، حَتَّى يَقُولَ: خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ عَرَقِ الْخَيْلِ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ مِنْ أَرْضٍ وَلَا سَمَاءٍ؟ لَقَدْ ضَلَّ هَذَا الثَّلْجِيُّ بِهَذَا التَّفْسِيرِ وَضَلَّ بِهِ مَنْ اتَّبَعَهُ. وَلَوْ فَسَّرَ هَذَا صَبِيٌّ لَمْ يَبْلُغِ الْحِنْثَ مَا زَادَ عَلَى هَذَا جَهْلًا وَاسْتِحَالَةً، هُوَ كُفْرٌ أَضَافَهُ هَذَا الثَّلْجِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيَلْكُ! نَحْنُ نَدْفَعُ الْحَدِيثَ وَنَسْتَنْكِرُهُ، وَأَنْتَ تَسْتَشْنِعُهُ ثُمَّ تُثَبِّتُهُ وَتُفْسِّرُهُ وَتَلْتَمِسُ لَهُ الْمَخَارِجَ، كَيْ تَصُونَهُ، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ مُنْكَرًا فَتَفْسِيرُكَ لَهُ أَنْكَرٌ^(١). اهـ

فهذه قيمة الحديث عند المحدثين.

قال السيوطي: (الحاكم) (ج) أنبأنا إسماعيل بن محمد الشعراني أخبرت عن محمد بن شجاع الثلجي أخبرني حبان بن هلال عن حماد بن سلمة عن أبي الهزم عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله مم ربنا قال من ماء مرور لا من أرض ولا من سماء خلق خيلا فأجراها فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق.

موضوع اتهم به محمد بن شجاع ولا يضع مثل هذا مسلم. قلت: ولا عاقل.

(١) نقض عثمان بن سعيد.

قال الذهبي في الميزان: ابن شجاع هذا كان فقيه العراق في وقته وكان حنفيا صاحب تصانيف وكان من أصحاب بشر المريسي ، وكان ينتقص الإمامين الشافعي وأحمد ، وكان من وصيته التي كتبها عند موته : ولا يعطى من ثلثي إلا من قال القرآن مخلوق.

وقال ابن عدي : كان يضع أحاديث في التشبيه ينسبها إلى أصحاب الحديث فيتهم بذلك ، منها هذا الحديث ، وحبان بن هلال ثقة. قال الذهبي: "هذا الحديث مع كونه أتى من المكذب فهو من وضع الجهمية ليذكروه في معرض الاحتجاج به على أن نفسه اسم لشيء من مخلوقاته فكذلك إضافة كلامه إليه من هذا القبيل إضافة ملك بل كلامه بالأولى، قال: وعلى كل حال فما يَعُدُّ مسلم هذا في أحاديث الصفات تعالى الله عن ذلك". انتهى والله أعلم. (١). اهـ

فهذا حال الثلجي حتى عند الأشاعرة..!

٦- قال الكوثري: منها روايته -أي رواية حماد- عن قتادة عن عكرمة (.. أن محمدا رأى ربه في صورة شاب أمرد..) وفي لفظ (.. جعدا أمرد عليه حلة خضراء..) إلى غير ذلك من الألفاظ الفاضحة، وقد روى ابن عساكر بطريق أبي القاسم السمرقندي عن قتادة (الأعمى): إني ما حفظت عن عكرمة إلا بيت شعر. وهذا دليل على أنه لم يرض روايته الحديث، وأما ما يروى عن أحمد من سماع قتادة

(١) اللآلئ المصنوعة (١/٢).

عن عكرمة عدة أحاديث فلا يثبت عن أحمد لأنه بطريق رواة من المجسمة القائمين بإقعاد النبي صلى الله عليه وسلم في جنبه على العرش^(١). اهـ

قلت: أما حديث الشاب الأمرد فقد استنكره ابن عدي الحافظ.

قال الذهبي: وقال ابن عدي: حدثنا عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، حدثنا النضر بن سلمة شاذان، حدثنا الأسود بن عامر، عن حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس أن محمدا رأى ربه في صورة شاب أمرد دونه ستر من لؤلؤ قدميه أو رجليه في خضرة.

وحدثنا ابن أبي سفيان الموصلي، وابن شهريار، قالوا: حدثنا محمد بن رزق الله ابن موسى، حدثنا الأسود بنحوه.

وقال عفان: حدثنا عبد الصمد بن كيسان، حدثنا حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: رأيت ربي.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير، حدثنا أبي، حدثنا حماد بنحوه، فهذا من أنكر ما أتى به حماد بن سلمة، وهذه الرؤية رؤية منام إن صحت.

قال المروزي: قلت لأحمد: يقولون لم يسمع قتادة عن عكرمة.

فغضب وأخرج كتابه بسماع قتادة، عن عكرمة، في ستة أحاديث.

ورواه الحكم بن أبان عن زيرك عن عكرمة.

(١) السيف الصقيل، ص ٨٥.

وهو غريب جدا^(١). اهـ

(تأمل النقل عن الكوثري لما وصف الناقل عن الإمام أحمد بأنه مجسم فهو يعني المروذي الإمام رحمه الله وهو معروف بأنه من أفاضل أصحاب الإمام أحمد رحمه الله ، والإقعاد على العرش ذكرت في المقال السابق أن كل علماء الإسلام أثبتوه).

قال الدارمي رحمه الله: وَرَوَى الْمُعَارِضُ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ مُحَمَّدٍ رَوَى عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدٍ.

وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رَأَى رَبَّهُ جَعْدًا أَمْرَدَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ خَضِرَاءُ».

فَادَّعَى الْمُعَارِضُ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فَسَّرُوا هَذَا أَنَّ هَذِهِ صِفَةُ جِبْرِيلَ، فَعَرَفَ رَبَّهُ بِرُؤْيَا جِبْرِيلَ عِلْمًا بِقَلْبِهِ بِإِدْرَاكِهِ جِبْرِيلَ عِيَانًا، فَهَذَا تَفْسِيرُ أَنَّهُ رَأَى مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الصُّورَةُ الَّتِي شَاهَدَ بِبَصَرِهِ، وَكَانَتْ صُورَةُ جِبْرِيلَ.

فَقُلْنَا لَهُذَا الْمُعَارِضِ الْمُتَاقِضِ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ وَضْعِ الزَّانِدِيقَةِ؟ ثُمَّ تَدْعِي هَاهُنَا أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فَسَّرُوهُ أَنَّهُ صُورَةُ جِبْرِيلَ، وَأَيُّ صَاحِبِ عِلْمٍ يُفَسِّرُ أَحَادِيثَ الزَّانِدِيقَةِ، يُوْهِمُ النَّاسَ أَنَّهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَلَا إِنْ يَكُونُ زُعْمَاؤُكَ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلُونَ؟ وَكَيْفَ تُثَبِّتُ الشَّهَادَةَ عَلَى حَدِيثِ الزَّانِدِيقَةِ أَنَّ هَذَا تَفْسِيرُهُ؟ أَوْ لَيْسَ قَدْ أَنْبَأْنَاكَ فِي صَدْرِ كِتَابِنَا

(١) ميزان الاعتدال (١/٥٩٤).

هَذَا أَنَّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الرِّوَايَاتِ يُعَارِضُهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: نُورٌ أَتَى أَرَاهُ»، وَبِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾».

غَيْرَ أَنَّكَ تَفْسِيرًا شَهِدْتَ فِيهِ بِالْكَفْرِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ ادَّعَيْتَ أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، فَظَنَّ أَنَّهُ رَبُّهُ، وَأَنَّهُ قَالَ لِصُورَةِ مَخْلُوقَةٍ شَاهِدَهَا بِبَصَرِهِ أَنَّهُ رَبُّهُ، فَتَكْفَرُ أَهْلِهَا الْمُعَارِضُ فِيمَا يَجْلِبُ عَلَيْكَ تَأْوِيلُكَ هَذَا مِنَ الْفَضَائِحِ، حِينَ تَدَّعِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْرِفْ جِبْرِيلَ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَرَى صُورَةَ جِبْرِيلَ فِي صُورَةِ شَابٍّ جَعْدٍ، فَيَدَّعِي أَنَّهُ رَبُّهُ بِزَعْمِكَ. لَوْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ أَبْنَكُمْ كَانَ خَيْرًا لَكَ مِنْ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ، أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ: إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَالُوا: إِنَّ هَذَا صُورَةُ جِبْرِيلَ، فَمِنْ أَيِّ أَهْلِ الْعِلْمِ سَمِعْتَ هَذَا التَّفْسِيرَ؟ فَاسْنِدُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْنِدُهُ إِلَّا إِلَى مَنْ هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ^(١). اهـ

فالحديث منكر عندنا -واستنكره الدارمي وابن عدي اللذان فرى الكوثري بلسانه أعراضهم- وإن صح فهو محمول على رؤيا المنام، ورؤية الله في المنام لا ينكرها -فيما أعلم- حتى الأشاعرة، وتكون الصورة التي رآها النائم هي الحجاب بينه وبين الله تعالى

ورؤيا المنام قد صح فيها الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) نقض عثمان بن سعيد

قال الترمذي في سننه: ٣٢٣٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هَانِيٍّ أَبُو هَانِيٍّ الْيَشْكُرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَهْضَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ الْحَضْرَمِيِّ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ مَالِكِ بْنِ يَحْمَرَ السَّكْسَكِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: اخْتَبَسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَرْتَأَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَتَوَّابًا بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَجَوَّرَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا: عَلَى مَصَافِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَأَحَدُّكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ: أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ.

قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، قَالَ: ثُمَّ فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلَيْنُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ. قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمُسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا.

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٧- قال الكوثري: وروى الفريابي عن مجاهد تفسير استوى بقوله: علا. من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه. والكلام فيهما مشهور؛ ولذا ذكر هذا وذاك البخاري من غير سند^(١). اهـ

قلت: لا أعلم ما الكلام المشهور الذي يعنيه.

ولكن إن كان يعني الطعن في ورقاء فهو في روايته عن منصور بن المعتمر فقط.

قال المزي: وَقَالَ حَرْبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: وَرَقَاءُ أَحَبُّ إِلَيْكَ فِي "تَفْسِيرِ" ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ أَوْ شَبْلٍ؟ قَالَ: كِلَاهُمَا ثِقَةٌ، وَوَرَقَاءُ أَوْثَقُهُمَا إِلَّا أَنْ وَرَقَاءُ يَقُولُونَ لَمْ يَسْمَعْ "التفسير" كله من ابن أبي نجيح، يقولون بعضه عرض. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ: قَالَ: مَعَاذُ: قَالَ وَرَقَاءُ: كِتَابُ "التفسير" قَرَأْتُ نَصْفَهُ عَلَى ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، وَقَرَأَ عَلِيٌّ نَصْفَهُ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ: هَذَا "تفسير" مجاهد.

وَقَالَ عَبَّاسُ الدُّورِيِّ: سَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ "تفسير" سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ أَوْ "تفسير" شَيْبَانَ عَنْ قَتَادَةَ؟ قَالَ: شَيْبَانُ؟ قَالَ: تَفْسِيرُ وَرَقَاءَ لِأَنَّهُ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، وَمُجَاهِدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَتَادَةَ. قُلْتُ لِيَحْيَى: فَأَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ تَفْسِيرُ وَرَقَاءَ أَوْ تَفْسِيرُ ابْنِ جُرَيْجٍ؟ قَالَ: تَفْسِيرُ وَرَقَاءَ لِأَنَّهُ تَفْسِيرُ ابْنِ جُرَيْجٍ

(١) السيف الصقيل، ص ٩١.

عَنْ مجاهد هو مرسل لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً. قلت له: فتفسير سَعِيد أعجب إليك أو تفسير ورقاء؟ قال: تفسير ورقاء أعجب إلي لأنه عَنْ ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وذاك عَنْ سَعِيد، عَنْ قتادة، ومجاهد أعجب إلي من قتادة. اهـ

فهذا الإمام أحمد يثني عليه وكذا يحيى بن معين.

ولكن قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَلَّاب: قال لي إبراهيم الحربي لما قرأ وكيع "التفسير" قال للناس: خذوه فليس فيه عن الكلبي ولا ورقاء شيء^(١). اهـ

فلا أعلم ما ينقم الإمام وكيع على ورقاء، إلا أن ثناء الإمام أحمد لا يقوم له شيء إلا بدليل صريح مذكور.

وأما تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد.

قَالَ يَحْيَى الْقَطَّانُ لم يسمع التفسير بن أبي نجيح من مجاهد قَالَ أَبُو حَاتِمِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ وَابْنُ جَرِيرٍ نظراً في كتاب القاسم بن أبي بزة عَنْ مجاهد في التفسير فرويا عَنْ مجاهد من غير سماع^(٢). اهـ

ابن أبي نجيح سمع من مجاهد الحديث، وأما التفسير فهو من كتاب القاسم بن أبي بزة وهو صحيح.

إذا فلا مطعن في الإسناد.

(١) تهذيب الكمال (٤٣٦/٣٠).

(٢) الثقات لابن حبان (٥/٧).

٨- قال السبكي: وقد روى الضراب في هذا الكتاب، قال: ثنا عمر بن الربيع، ثنا أبو أسامة، ثنا ابن أبي زيد، عن أبيه، عن حبيب كاتب مالك، قال: سئل مالك بن أنس عن قول النبي صلى الله عليه وسلم «ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة»، قال: ينزل أمره كل سحر وأما هو فهو دائم لا يزول وهو بكل مكان. اهـ

قلت حبيب كاتب مالك.

قال عبد الله بن أحمد: سمعتُ أبي. وذكر حبيباً الذي كان يقرأ لهم على مالك بن أنس. فقال: ليس بثقة... ولم يكن أبي يوثقه، ولا يرضاه، وقال: كان حبيب يحيل الحديث ويكذب، وأثنى عليه شراً وسوءاً^(١). اهـ
وقال عنه الدارقطني: متروك^(٢). اهـ

قال ابن رجب: قال عباس وغيره عن ابن معين: "حبيب كان يقرأ على مالك، وكان يخطر للناس ويصفح ورقتين وثلاثة. قال يحيى. سألتني عنه بمصر؟ فقلت: ليس بشيء، قال: وكان يحيى بن بكير سمع بعرض حبيب، وهو شر العرض".

قال الأثرم عن أحمد: "كان مالك إذا حدث من حفظه كان أحسن مما يعرضون عليه، يقرأون عليه الخطأ، وهو شبه النائم".

(١) العلل، ص ١٥٢٨.

(٢) الضعفاء والمتروكون، ص ١٧١.

وقال ابن حبان: "امتحن أهل المدينة بحبيب بن أبي حبيب الوراق كان يدخل عليهم الحديث، فمن سمع بقراءته عليهم فسماعه لاشيء" (١). اهـ

وأما ثناء الكوثري عليه بأنه يروي أو يقرأ عن مالك أو على مالك فلا تقوم أمام أحكام الأئمة فهذا الإمام أحمد وابن معين والدارقطني يحكمون عليه بأشنع الأحكام، فمجرد قراءته على الإمام مالك لا تعني أنه ثقة في نفسه.

والضراب هو الحسن بن إسماعيل ضعفه الدارقطني.

قال ابن حجر في ترجمة الحسن بن الليث بن حاجب: عن أحمد بن سليمان الأسدي عن مالك بخبر باطل، وهو عن الزهري، عن أنس رضي الله عنه رفعه: «من صلى المغرب ثم صلى بعدها ركعتين قبل أن يتكلم كتب في عليين...» الحديث. وعنه رزق الله بن يوسف الإسكندراني من رواية الحسن بن إسماعيل القراب، عن علي بن عبد الله بن أبي مطر، عن رزق الله. قال الدارقطني: من دون مالك في الإسناد ضعفاء كلهم (٢). اهـ

فلاحظ من يدع روايات الثقات عن مالك في العقيدة إلى رجل كذاب وآخر ضعيف يغرب عن مالك الجبل، وأنا إن شاء الله ألحق بالمقالات عقيدة مالك كاملة ليتبين للقارئ شدة جريان الهوى في نفس الرجلين.

وجاء في مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود: أخبرنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا شريح بن النعمان، قال: حدثنا عبد الله بن

(١) شرح علل الترمذي (٢/٧٠٤).

(٢) لسان الميزان (٣/١١٠).

نافع ، قال : قال مالك : الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان^(١). اهـ

فهذا قول مالك رحمه الله في علو الله تعالى على خلقه.

(١) مستفاد من مقال للشيخ أبي جعفر.

خاتمة

عزيزي القارئ قد استبان لك بعد قراءة سلسلة المقالات كثيرا من الحقائق؛ أبرزها أنه ليس مع الرجلين شيئا من توحيد الإلهية فقد جعلوا لله أندادا يدعونهم من دونه ويستغيثون بهم، وليس لهم في توحيد الربوبية إلا كما لمشركي قريش إذ جعلوا لمخلوقات الله قدرة على التصرف في الكون، وليس عندهم في توحيد الأسماء والصفات إلا كما عند بشر المريسي الذي أجمع السلف على كفره إذ جحدوا صفات الكمال والأفعال، ونفوا علو الله على خلقه وتكليمه لهم.

وجحدوا توحيد الاتباع اتباع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جعلوا كلامه ظني الدلالة واتباع ظاهره كفر بالله، وكلام شيوخهم ومقلديهم يقيني الدلالة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فبعد هذا كله ما حال من يجعلهما إمامين له في دينه؟

وماذا سيقول حين يسأله الله : ماذا عبدت ؟ وماذا أجبت الرسول ؟

قال التابعي الجليل أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون ، ماذا كنتم تعبدون ؟ ، ماذا أجبتكم المرسلين ؟.

فأعدوا لهذا الموقف جوابا ودعوا عنكم شغف تقليد الشيوخ

هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد.

أنهيته والله الحمد يوم السبت ٢٦ ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ قبيل صلاة المغرب.

ملحق

باب ما جاء عن السلف في ذم الكلام وأهله

- ١- قال الخلال في السنة: ٢١٤٧- أخبرنا أبو بكر المروزي، قال: أنكر أبو عبد الله على من رد بشيء من جنس الكلام إذا لم يكن فيها إمام يقدم.
- ٢- وقال: ٢١٤٨- وأخبرنا أبو بكر المروزي، قال: قيل لأبي عبد الله: إن رجلاً تكلم بكلام فرد عليه رجل من أهل السنة بعد ذلك بكلام محدث، فغضب أبو عبد الله وأنكر عليهما جميعاً، وقال: يستغفر ربه الذي رد بمحدثه، وقال: كلما ابتدع رجل بدعة اتسعوا في جوابها!؟
- ٣- وقال: ٢١٧٢- أخبرنا أبو بكر المروزي أحمد بن محمد بن الحجاج، قال: سمعت أبا الحسين عبد الوهاب الوراق يقول: أبو عبد الله إمامنا وهو من الراسخين في العلم يقول: "... أصحاب الكلام لا يفلحون".
- ٤- قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم: ١١٠٢ - وقال: يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي، يوم ناظره حفص الفرد قال لي: "يا أبا موسى لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام" لقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه.
- ٥- وقال: ١١٠٣ - حدثنا خلف بن قاسم نا الحسن بن رشيق، نا أحمد بن محمد بن سلامة، نا يونس بن عبد الأعلى، قال: ذكر لي الشافعي، رحمه الله، كثيراً مما جرى بينه وبين حفص الفرد يوم كلمه ثم قال لي "اعلم أي اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولئن يتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من

أن ينظر في الكلام" وذكر الساجي أن حسين الكرابيسي قال: سئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب وقال: سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله.

٦- وقال: ١١٠٧ - حدثنا خلف ، نا الحسن ، نا محمد بن إبراهيم الأنماطي وعبيد الله بن إبراهيم الغمري ، قالوا: نا الحسن بن محمد الزعفراني ، قال : سمعت الشافعي يقول: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجرید ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام".

٧- وقال: ١١٠٨ - وذكر الساجي عن أبي ثور ، قال : قلت للشافعي رحمه الله : ضع في الكلام شيئا ، فقال : "من تردى في الكلام لم يفلح" وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: "لا يفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل" وقال مالك: رأيت إن جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد ؟.

٨- وقال: ١١١٠ - حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن ، ثنا إبراهيم بن بكر ، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خواز منداد المصري المالكي في كتاب الإجازات من كتابه في الخلاف قال مالك: "لا تجوز الإجارة في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع والتنجيم، وذكر كتبا"، ثم قال: "وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك، وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك" وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام ويهجر ويؤدب على بدعته ، فإن

تمادى عليها استتيب منها، قال أبو عمر: "ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه".

٩- قال الهروي في ذم الكلام: ٨٦٠ - أَخْبَرَنِي طَيْبُ بْنُ أَحْمَدَ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مَطَرٍ ، سَمِعْتُ شَكَرَ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْبَصْرِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ ، يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقُرْآنِ فَقَالَ (لَعَلَّكَ مِنْ أَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ لَعَنَ اللَّهُ عَمْرًا فَإِنَّهُ ابْتَدَعَ هَذِهِ الْبِدْعَ مِنَ الْكَلَامِ ، وَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ عِلْمًا لَتَكَلَّمُ فِيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ كَمَا تَكَلَّمُوا فِي الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ وَلَكِنَّهُ بَاطِلٌ يَدُلُّ عَلَى بَاطِلٍ).

١٠- وقال: ٩٨٦ - أَخْبَرَنِي طَيْبُ بْنُ أَحْمَدَ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الطَّرَازِيَّ الْمُقْرِيَّ ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَمْزَةَ ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَمْزَةَ بْنَ أَبِي عَلِيٍّ ثِقَةً ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَهْدِيٍّ ، سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ النَّفِيلِيَّ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْكَلَامِ فَقَالَ : سُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْهُ ، فَقَالَ : (اجْتَنِبْ عِلْمًا إِذَا بَلَغْتَ فِيهِ الْمُنْتَهَى نَسُبُوكَ إِلَى الزُّنْدَقَةِ عَلَيْكَ بِالْإِقْتِدَاءِ وَالتَّقْلِيدِ).

١١- وقال: ١٤١٥ - أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى بْنِ [محمد] الْخَوَاشِي، أَبْنَا أَبُو مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَرْزِي، أَبْنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ حَفِيدِ الْعَبَّاسِ بْنِ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْجَبِيرِي، حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَجِيحِ الْمَدِينِيِّ مَوْلَى بَنِي نَصْرٍ، حَدَّثَنِي أَبِي؛ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: "يَوْسُفُ بْنُ خَالِدٍ سَقَطَ حَدِيثُهُ مِنْ أَجْلِ الْكَلَامِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ صَاحِبَ كَلَامٍ؛ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ".

١٢- وفي ذم الكلام: عن بشر بن أحمد أبي سهل الإسفرائيني: وقيل له: إنما أتعلم الكلام لأعرف به الدين، فغضب، وقال: أو السلف من علمائنا كفاراً^(١). اهـ

١٣- قال أبو إسماعيل الهروي: ثم إني لا أعلم أني سمعت في عمري بشراً واحداً في بلدتنا يقر على نفسه بذلك المذهب أو يصرح بشيء من الكلام وهو يعرفه أو يظهر شيئاً من كتبهم؛ إلا من أحد وجوه أربعة: أحدها: أن يكون رجل علم منه أنه قرأ الكلام؛ فهو يحلف أنه إنما قرأه ليصول به على خصم لا ليدين به ديناً. والثاني: رجل أخذ عن أستاذ متهم به؛ فهو يحلف بالله أنه إنما أخذ عنه الفقه لا الكلام. والثالث: قوم لحقهم داء من الصحبة حتى لحظتهم الأعين بالهوان بصحبة أهل التهمة والركون إليهم؛ فهم إذا خلوا يتناجون، وإذا برزوا يتهاجون. والرابع: رجل ظهر عليه شيء من كتب الكلام بخطه أو قراءته أو أخذه حياً أو ميتاً. فكلهم يحمل من أعباء الذل والهجران والطرده ما لا يحمله عيار ولا يعالجه ماجن ولا مخنث، ولا مريضهم يعاد، ولا جنائزهم تشيع، على أنك لا تعدم منهم قلة الورع، وقسوة القلب، وقلة الورد، وسوء الصلاة، والاستخفاف بالسنة، والتهاون بالحديث والوضع من أهله، وترك الجماعات، والشماتة بفواجع أهل السنة والهزوء بهم. وقد سمعت بعض المتهمين يقول: وما الكلام؟ كل ما خرج من الفم من النطق فهو كلام، فهو والله حمق ظاهر أن يكون [يلبسه] بالشافعي الإمام المطلبي باعتزائه الكاذب إليه، وزعمه الباهت عليه، وهو من أشد خلق الله تعالى على المتكلمين وأثقلهم عليه؛ كما نظمنا عنه من أقاويله الغر في ذمهم. ثم هذا المراوغ يدعي أنه لا يدري ما الكلام، وهؤلاء أئمة الإسلام وكل هذا التحذير وإيدانه قديماً بالضرر

(١) من طريق كتاب التنبهات الجليلة لعادل آل حمدان.

الكثير. فليبرزوا به إذاً من الخباء، وليخرجوا الطبل من الكساء، وقيموا الخطأ على أولئك السادة الهداة، وليشيروا بنا إلى مسلم أدركه في الكلام رشد أو لقي به خيراً. فلا والله لا دين المتناجين دين، ولا رأي المستترين متين.

١٤- قال عبدالغني المقدسي عن أهل الكلام: وهم أَجْهَلُ النَّاسِ بِالْآثَارِ وَأَقْلَهُمْ عِلْماً بِالْأَخْبَارِ وَأَتْرَكَهُمُ لِلنَّقْلِ^(١). اهـ

١٥- وقال: أما هُوَ حِزْبُهُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ فَمَا ذَكَرَهُمْ إِلَّا ذَمَّهُمْ والتحذير مِنْهُمْ والتنفير من مجالستهم وَالْأَمْرُ بِمَبَايِنَتِهِمْ وَهَجْرَانِهِمْ وَتَرْكُ النَّظَرِ فِي كِتَابِهِمْ، لَا يَثْبُتُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ قَدَمٌ فِي الْوَلَايَةِ، وَلَا يَقُومُ لَهُمْ فِي الصَّالِحِينَ رَايَةٌ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ كَرَامَةٌ، وَلَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا كَرَامَةً، يَكْذِبُونَ بِكَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، وَيُنْكِرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَمْقُوتُونَ وَفِي الْآخِرَةِ مَعَذَبُونَ لَا يَفْلَحُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَا يُوَفَّقُ لِاتِّبَاعِ رُشْدٍ^(٢). اهـ

فهذا حال الكلام عند سلفنا الصالح، وهذا حال أهله ممن زاغ عن طريق السلف فإنه ما من نحلة خالفت طريقهم إلا بسبب علم الكلام منذ شيخهم الأكبر الجعد بن درهم مرورا بالأشعري وابن كلاب ثم الجويني ثم السبكي إلى إمام كوثرية عصرنا محمد بن زاهد الجركسي الكوثري.

(١) تحريم النظر في علم الكلام، ص ٣٦.

(٢) تحريم النظر في علم الكلام، ص ٤١.

باب ما جاء في الحث على التمسك بالآثار

١- قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

٢- وقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥).

٣- قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»^(١).

٤- قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه فتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا. اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم^(٢). اهـ

٥- قال أبو قلابة: إذا حدث الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذه وهات كتاب الله، فاعلم أنه ضال^(٣). اهـ

(١) رواه الترمذي ٢٦٧٦.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٩٤٧/٢).

(٣) طبقات ابن سعد ٨٩١٧.

٦- قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولادة الأمر بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، من عمل بها مهتديا بها هدى ، ومن استنصر بها منصور ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى^(١) . اهـ

قال سفيان الثوري: إنما العلم كله: العلم بالآثار^(٢) . اهـ

٧- قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رِسَالَتِهِ: هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَدِينٍ وَفَضْلٍ وَكُلٌّ سَبَبٌ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ يُدْرَكُ بِهِ هُدًى وَرَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا^(٣) . اهـ

٨- قال الأوزاعي رحمه الله: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول^(٤) . اهـ

٩- قال أبو نعيم الفضل بن دكين رحمه الله: عَلَيْكُمْ بِالْآثَارِ وَالْعِلْمِ، مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ مَضَى مِنَ السَّلَفِ^(٥) .

١٠- قال الإمام أحمد رحمه الله: أَصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ الْبِدْعِ وَكُلِّ بَدْعَةٍ فِيهَا ضَلَالَةٌ^(٦) . اهـ

(١) السنة لعبدالله ١٣٢٩ .

(٢) المدخل للبيهقي، ص ٢٣٥ .

(٣) ذكره ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٥٧/٤) .

(٤) الشريعة للأجري، ص ١٢٤ .

(٥) السنة للخلال ١٧٣٢ .

(٦) السنة للإمام أحمد

١١- قال أبو زرعة الرازي: عليك بالآثر فإنك تجد فيه ما يغني عن هذه الكتب -يعني كتب أهل البدع-^(١).

١٢- قال البربهاري: فالله الله في نفسك ، وعليك بالآثار وأصحاب الأثر والتقليد ، فإن الدين إنما هو التقليد يعني للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم^(٢). اهـ

١٣- قال عثمان بن سعيد الدارمي: وقد علمتم إن شاء الله أنه لا يستدرك سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأحكامهم وقضاياهم إلا بهذه الآثار والأسانيد على ما فيها من الاختلاف، وهي السبب إلى ذلك، والنهج الذي درج عليه المسلمون ، وكانت إمامهم في دينهم بعد كتاب الله عز وجل منها يقتبسون العلم، وبها يقضون، وبها يقيمون، وعليها يعتمدون، وبها يتزينون... فمن رغب عنها فإنما يرغب عن آثار السلف وهديمهم ويريد مخالفتهم ليتخذ دينه هواه، وليتأول كتاب الله برأيه خلاف ما عني الله به^(٣). اهـ

١٤- وقال: قَالَ شَرِيحُ وَابْنُ سِيرِينَ: "لَنْ نَضِلَّ مَا تَمَسَّكْنَا بِالْأَثَرِ" وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: "مَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ، لَوْ بَلَّغْنَا أَتَمَّهُمْ لَمْ يَغْسِلُوا إِلَّا الظُّفْرَ مَا جَاوَزْنَاهُ، كَفَى إِزْرَاءَ عَلَى قَوْمٍ أَنْ تَتَخَالَفَ أَعْمَاهُمْ". وَالْإِقْتِدَاءُ بِالْأَثَرِ تَقْلِيدٌ، فَإِنْ كَانَ لَا يَجُوزُ فِي دَعْوَى الْمُرِيْسِيِّ أَنْ يَقْتَدِيَ الرَّجُلُ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَمَا مَوْضِعُ الْإِتِّبَاعِ الَّذِي قَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾؟ وَمَا يَصْنَعُ بِأَثَرِ الصَّحَابَةِ

(١) سؤالات البرذعي، ص ٥٦١.

(٢) شرح السنة للبربهاري

(٣) الرد على الجهمية، ص ١٢٤.

وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ؟ بَعْدَ أَنْ لَا يَسَعِ الرَّجُلُ اسْتِعْمَالَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا اسْتَنْبَطَهُ بِعَقْلِهِ فِي خِلَافِ الْأَثَرِ؟ إِذَا بَطَلَتِ الْأَثَارُ وَذَهَبَتِ الْأَخْبَارُ، وَحُرِّمَ طَلَبُ الْعِلْمِ عَلَى أَهْلِهِ، وَلَزِمَ النَّاسُ الْمُعْقُولَ، مِنْ كُفْرِ الْمُرَيْسِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَالْمُسْتَحِيلَاتِ مِنْ تَفَاسِيرِهِمْ، فَقَدْ عَرَضْنَا كَلَامَهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَأَخْطَوْا فِي أَكْثَرِهَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَلَمْ يُصِيبُوا السُّنَّةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَالِحُ الْمُصْرِيِّ، عَنِ الْهَقْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: "مَا رَأَيْتُ أَمْرِي فِي أَمْرٍ بَلَغَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اتَّبَاعَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ فِيهِ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ كَانُوا أَوْلَى فِيهِ بِالْحَقِّ مِنَّا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾".

وَقُلْتُمْ أَنْتُمْ: بَلْ نَعْرِضُهَا عَلَى رَأْيِنَا فِي الْكِتَابِ، فَمَا وَافَقَهُ مِنْهَا صَدَقْنَاهُ وَمَا خَالَفَهُ تَرَكْنَاهُ، وَتِلْكَ غَايَةُ كُلِّ مُحَدِّثٍ فِي الْإِسْلَامِ: رَدُّ مَا خَالَفَ رَأْيَهُ مِنَ السُّنَّةِ^(١). اهـ

عقيدة إمام أهل المدينة مالك بن أنس

- قدس الله روحه -

من أقوال الإمام مالك رحمه الله في أبواب السنة والاعتقاد^(١):

١- أهل السنة هم: الذين ليس لهم لقب يُعرفون به لا جهمي، ولا رافضي، ولا قدري.

٢- والسنة ما لا اسم له غير السنة، قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

٣- والحكم الذي يحكم به بين الناس حكمان: ما في كتاب الله، أو أحكمته السنة: فذلك الحكم الواجب وذلك الصواب، والحكم الذي يجتهد فيه العالم برأيه فمثله يوفق، وثالث: متكلف، فما أحراه ألا يوفق.

٤- ومن أراد النجاة فعليه بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٥- والسنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.

٦- ولا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

٧- ولو لقي الله عز وجل رجل بملء الأرض ذنوبا ثم لقي الله بالسنة، لكان في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

(١) جمعها الشيخ عادل آل حمدان في كتابه الجامع في العقائد.

٨- وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يُتبع الرأي، فإنه متى اتبع الرأي جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك فاتبعته، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته، أرى هذا لا يتم.

٩- ومن خالف السنة فإني أخشى عليه الفتنة، وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

١٠- قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولادة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله من عمل بها مهتديا بها هدى، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى، وأصله جهنم وساءت مصيرا.

١١- والتسليم للسنن لا تعارض برأي، ولا تدافع بقياس، وما تأوله منها السلف تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله.

١٢- وما قلّت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء.

١٣- وإن حقا على من طلب العلم أن يكون له وقار وخشية، وأن يكون متبعا لأثر من مضى قبله.

١٤- والعالم يخبر بالسنة ولا يخاصم، فإن قبلت منه وإلا سكت.

١٥- والقرآن هو الإمام، فأما هذا المرء فما أدري ما هو؟.

١٦- وليس الجدال من الدين في شيء.

١٧- وكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله، إذا لا نزال في طلب الدين.

قال عمر بن عبدالعزيز: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل.

١٨- والداء العضال التنقل في الدين.

١٩- ومن اتقى الله جعل له مخرجا من هذه الأهواء.

٢٠- والمرء في العلم يقسي القلب، ويورث الضغن.

٢١- وإذا جاءك من يجادلك من أهل الأهواء في أمر الدين فقل له: أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى من هو شاك مثلك فخاصمه.

٢٢- والإيمان قول وعمل، ولا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان.

٢٣- والإيمان يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض، قال تعالى "ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم".

وقال إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ قَالَ أُولَٰمَ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿فطمأنينة قلبه: زيادة في إيمانه.

٢٤- الإيمان: المعرفة والإقرار والعمل.

٢٥- وليس للإيمان منتهى هو في زيادة أبدا.

٢٦- ولا يقول أحد: أنا مؤمن، ولكن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

٢٧- ولا يقول: إنه مستكمل الإيمان، وأن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل والملائكة المقربين، فإنه قول المرجئة.

٢٨- وإني لأذكر بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، ما قالت المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان، وقد سماها الله الإيمان.

٢٩- والمرجئة أخطؤوا وقالوا قولا عظيما. قالوا: إن أحرق الكعبة، أو صنع كل شيء فهو مسلم.

وقولي فيهم ما قال الله تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

٣٠- ولا نكفر أهل التوحيد بذنب.

٣١- لَوْ أَنَّ الْعَبْدَ ارْتَكَبَ الْكِبَايْرَ بَعْدَ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ثُمَّ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالتَّنَاوُلِ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي أَعْلَى دَرَجَةِ الْفِرْدَوْسِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَبِيرَةٍ فِيمَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ مِنْهُ

عَلَى رَجَاءٍ ، وَكُلُّ هَوًى لَيْسَ مِنْهُ عَلَى رَجَاءٍ إِنَّمَا يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ فَلْيُبَشِّرْ مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ فَلْيُبَشِّرْ مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ فَلْيُبَشِّرْ .

٣٢- ولا نشهد لأحد لصلاحه أنه في الجنة.

٣٣- والقرآن كلام الله عزَّ وجلَّ، وهو منه، وليس من الله شيء مخلوق، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

٣٤- ومن قال: القرآن مخلوق يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

٣٥- وأحاديث الصفات نمرها كما جاءت بلا كيف.

٣٦- والله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان، قال تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾.

٣٧- قال الله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ والاستواء منه غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

٣٨- والنزول حق، وأمض الحديث كما ورد بلا كيف ولا تحديد، إلا بما جاءت به الآثار، وبما جاء في الكتاب، قال تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ينزل كيف شاء بقدرته وعظمته، أحاط بكل شيء علما.

٣٩- والمؤمنون ينظرون إلى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة بأعينهم هاتين، قال الله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۖ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۖ (٢٣)﴾ ومن قال: ينظرون إلى ثوابه فقد كذبوا، بل تنظر إلى الله نظرا، أنا سمعت قول موسى ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾

تراه سأل ربه محالا؟، قال تعالى ﴿لَنْ تَرَنِى﴾ في الدنيا، لأنها دار فناء، ولا ينظر ما يبقى بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى.

وأين هم من قول الله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾؟ فلو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب. ومن أنكر الرؤية فليس له إلا السيف.

٤٠- والله عز وجل كلم موسى.

٤١- والميزان حق.

٤٢- وسلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار.

٤٣- والجهاد مع الأئمة وإن جاروا.

٤٤- والحج معهم.

٤٥- وإذا كان الإمام عدلا لم ينبغ للناس أن يتولوا تفرقة زكاتهم، ووجب عليهم دفعها إلى الإمام.

٤٦- والفواحش قدرها الله علينا قبل أن يخلقنا، ولا بد لمن كتب الله عليه ذلك أن يعملها ويصير إلى ما قدر عليه وكتبه.

٤٧- وما أضل من كذب بالقدر، لو لم يكن عليهم فيه حجة إلا قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ لكفى بها حجة.

٤٨- وأبين آية على أهل القدر وأشدها عليهم قوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣)، فلا بد أن يكون ما قال.

٤٩- والقدرية هم الذين يقولون: إن الله لم يخلق المعاصي.

٥٠- ومن قال من القدرية: إن الله عز وجل لم يعلم ما العباد عاملون حتى يعملوا فإنهم يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا.

٥١- والقدرية قوم سوء، لا تكلموهم ولا تجالسوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا على موتاهم ولا تتبعوا جنائزهم ولا تعودوا مرضاهم ولا تسلموا عليهم ولا تصلوا خلفهم، وعادهم في الله، يقول الله تعالى ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، فلا توادوهم.

٥٢- وما رأيت أحدا من أهل القدر إلا أهل سخافة وطيش وخفة.

٥٣- وخير هذه الأمة وأفضلها بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة ومعه غيره، وأمره على الحج ومعه غيره.

٥٤- وأفضل الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنه عمر رضي الله عنه، وليس فيها شك.

٥٥- ومحلهما من النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كمحلها منه بعد وفاته.

٥٦- وقد كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون
السورة من القرآن.

٥٧- وأفضل الأمة بعد أبي بكر وعمر: الخليفة المقتول ظلما عثمان رضي الله
عنه.

٥٨- وهنا وقف الناس، هؤلاء خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمر أبا بكر على الصلاة، واختار أبو بكر عمر، وجعلها عمر على ستة
فاختاروا عثمان فوقف الناس هنا.

٥٩- ومن شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر، أو
عمر، أو عثمان، أو معاوية، أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال أو
كفر قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاقمة الناس نُكِّل نكالا شديدا.

٦٠- ومن تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو
كان في قلبه عليهم غلٌ فليس له حق في فيء المسلمين لقوله تعالى ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى
رُسُلِهِ﴾ حتى أتى قوله ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ الآية، فمن تنقصهم، أو
كان في قلبه عليهم غلٌ، فليس له في الفياء حق.

٦١- ومن أصبح وفي قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُجْتَمِعًا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ
السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ

فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

٦٢- ومن سب عائشة قُتِلَ، لأن من رماها فقد خالف القرآن، لأن الله تعالى يقول ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧].

٦٣- وإنما هؤلاء قوم أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلا صالحا كان أصحابه صالحين.

٦٤- ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم، أو شتمه، أو عابه، أو تنقصه، أو غيره من المؤمنين قُتِلَ، مسلما كان أو كافرا، ولا يستتاب.

٦٥- ولا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ولكن يسلم ويمضي، ولا يمس القبر.

٦٦- وإياكم والبدع وأهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

٦٧- ولعن الله عمرو بن عبيد و فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل.

٦٨- ومحال أن نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجااء ولم يعلمهم التوحيد.

٦٩- والكلام في الدين اكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إلي منه، لأنني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل.

٧٠- ومن طلب الدين بالكلام تزندق.

٧١- وإذا رأيت صاحب كلام يمشي في الهواء فلا تأمن ناحيته ولا تثقن به.

٧٢- ولم يكن شيء من هذه الأهواء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان.

٧٣- ومن ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا.

٧٤- ولا يؤخذ العلم من صاحب هوى يدعو إلى بدعته.

٧٥- وهذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فقد أدركت في هذا المسجد سبعين - وأشار بيده إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - كلهم يقولون: قال فلان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم آخذ عنهم شيئا، ولو أن أحدهم أوّتمن على بيت مال لكان به أمينا، لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن.

٧٦- ولا تمكن زائغ القلب من أذنيك فإنك لا تدري ما يعلقك من ذلك، ولقد سمع رجل من الأنصار من أهل المدينة شيئا من بعض أهل القدر فعلق قلبه

به، فكان يأتي إخوانه الذين استصحبهم، فإذا نهوه قال: كيف بما علق قلبي؟ لو علمت أن الله راض أن ألقى نفسي من فوق هذه المنارة لفعلت.

٧٧- والدنو من الباطل هلكة، والقول في الباطل يصد عن الحق، ولا خير في شيء من الدنيا بفساد دين المرء ولا مروءته، ولا بأس على الناس فيما أحل الله لهم.

٧٨- وأهل الأهواء بئس القوم، لا تسلم عليهم، ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضهم، ولا تحدث عنهم الأحاديث، واعتزلهم أحب إلي.

٧٩- وما آية في كتاب الله أشد على أهل الأهواء من هذه الآية ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، فأني كلام أبين من هذا، وهذه الآية لأهل القبلة.

٨٠- وإذا علمت أن الإمام من أهل الأهواء فلا تصل خلفه و ولا يصلي خلف أحد من أهل الأهواء.

٨١- ومن صلى خلف أهل البدع فلا إعادة عليه.

٨٢- ولا تجوز شهادة أهل البدع.

٨٣- ولا تجوز الإجازات في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع والتنجيم.

٨٤- وإياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنة.

٨٥- ولا ينبغي الإقامة بأرض يعمل فيها بغير الحق والسب للسلف.

قال أبو الدرداء لمعاوية رضي الله عنهما حين قال: سمعت رسول الله ينهى عن مثل هذا. قال معاوية: ما كنت أرى بهذا بأساً. قال أبو الدرداء: أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخبّرني عن رأيك، لا أسألك بأرض أنت فيها. فخرج عنه.

فالناس كانوا يخرجون من الكلمة وهذا يقيم على العمل بغير الحق والسبّ للسلف، وقد قال الله ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

ولا يصلى خلف الإباضية، ولا يصلى على موتاهم، ولا تتبع جنازتهم، ولا تعاد مرضاهم، ونرك السكني معهم في بلادهم أحب إليّ.

والإباضية والحرورية وأهل الأهواء كلهم أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا قتلوا. اهـ

عقيدة الإمام الشافعي المطلبية

- قدس الله روحه -

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله^(١):

١- لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمته، لا يسع أحدا من خلق الله عز وجل قامت لديه الحجة أن القرآن نزل به وصح عنده بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه العدل خلافة.

٢- فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه به فهو كافر بالله عز وجل.

فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر.

ونحو ذلك إخبار الله إيانا أنه:

٣- سميع، وأن لديه يدين، بقوله عز وجل ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

٤- وأن له يميناً، بقوله عز وجل ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾.

٥- وأن له وجهاً، بقوله عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

وقوله ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

٦- وأن له قدماً، بقوله صلى الله عليه وسلم: «حتى يضع الربُّ عز وجل

فيها قدمه». يعني: جهنم.

(١) الجامع للعقائد للشيخ عادل آل حمدان، ص ٢٣٧.

٧- وأنه يضحك من عبده المؤمن، لقوله صلى الله عليه وسلم للذي قُتِلَ في سبيل الله عزَّ وجلَّ: «إنه لقي الله عزَّ وجلَّ وهو يضحك إليه».

٨- «وأنه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا»، بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك.

٩- وأنه ليس بأعور، لقول النبي صلى الله عليه وسلم - إذ ذكر الدجال - فقال: «إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور».

١٠- و: «إن المؤمنين يرون ربهم عزَّ وجلَّ يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر».

١١- وأن له أصبعا، بقوله: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن عزَّ وجلَّ».

١٢- وإن هذه المعاني التي وصف الله عزَّ وجلَّ بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم مما لا يُدرَكُ حقيق ذلك بالفكر والرؤية، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها.

١٣- فإن كان الوارد بذلك خبرا يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته والشهادة عليه، كما عاين وسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ثبتت هذه الصفات ونفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه تعالى ذكره فقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ اهـ.

عقيدة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل

- قدس الله روحه -

قال الإمام أحمد رحمه الله: أصول السنة عندنا:

١ - التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والإقتداء بهم.

٢ - وترك البدع، وكل بدعة ضلالة.

٣ - وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

٤ - وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء.

٥ - والسنة عندنا: آثار رسول صلى الله عليه وسلم.

٦ - والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن.

٧ - وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الإلتباع وترك الهوى.

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها:

٨ - الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا

يُقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث وبيْلغُه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل حديث: الصادق المصدوق.

ومثل: ما كان مثله في القدر.

ومثل أحاديث الرؤية كلها.

وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، فإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات.

٩ - وأن لا يُخاصم أحداً ولا يُناظر، ولا يتعلم الجدل، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه منه، لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم ويؤمن بالآثار.

١٠ - والقرآن كلام الله وليس بمخلوق.

ولا يضعف أن يقول ليس بمخلوق، فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوقاً.

١١ - وإياك ومُناظرة من أحدث فيه ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله فهذا صاحب بدعة مثل من قال: هو مخلوق.

وإنما هو كلام وليس بمخلوق.

١٢ - والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح.

١٣ - وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح قد رواه قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس.

ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس.

ورواه علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس.

والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره ولا نُنَظِر فيه أحداً.

١٤ - والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء، يوزنُ العبدُ يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزنُ أعمال العباد كما جاء في الأثر،

والإيمان به والتصديق به والإعراض عن من رد ذلك وترك مجادلته.

١٥ - وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه تُرْجُمان والإيمان به والتصديق به.

١٦ - والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضاً يوم القيامة تردُّ عليه أُمته، عرضه مثل طوله : مسيرة شهر، آنيته: كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه.

١٧ - والإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتن في قبورها وتسأل عن: الإيمان والإسلام ، ومن ربُّه؟ ومن نبيُّه؟ ويأتيه منكرٌ ونكيرٌ كيف شاء الله عز وجل وكيف أراد، والإيمانُ به والتصديقُ به.

١٨ - والإيمانُ بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقومُ يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً، فيؤمَّرُ بهم إلى نهرٍ على باب الجنة كما جاء الأثر، كيف شاء الله وكما شاء، إنما هو الإيمان به والتصديقُ به.

١٩ - والإيمان أن المسيح الدجال خارجٌ مكتوبٌ بين عينيه: (كافر).

والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن.

٢٠ - وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزلُ فيقتله ببابٍ لد.

٢١ - والإيمان قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقص كما جاء في الخبر: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

و «من ترك الصلاة فقد كفر».

٢٢ - وليس من الأعمال شيءٌ تركه كفرٌ إلا الصلاة، من تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله.

٢٣ - وخيرُ هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان.

يقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا في ذلك.

٢٤ - ثم بعد هؤلاء الثلاثة: أصحاب الشورى الخمسة: علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام.

٢٥ - ويذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر: كنا نعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيٍّ وأصحابه متوافرون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت.

٢٦ - ثم من بعد أصحاب الشورى:

أهل بدرٍ من المهاجرين، ثم أهل بدرٍ من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر الهجرة والسابقة أولاً فأولاً.

٢٧ - ثم أفضل الناس بعد هؤلاء:

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن الذي بُعث فيهم، كل من صحبه سنةً، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعةً، أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه نظرة، فأدناهم صحبةً هو أفضل من القرن الذي لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال كان هؤلاء الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه وسمعوا منه ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعةً، أفضل بصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير.

٢٨ - والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفةً وسُميَ أمير المؤمنين.

٢٩ - والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يُترك.

٣٠ - وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ، ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا يُنازعهم.

٣١ - ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه براً كان أو فاجراً.

٣٢ - وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاه جائزة تامة ركعتين من أعادهما فهو مبتدعٌ، تاركٌ للآثار، مخالفٌ للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيءٌ إذا لم يرَ

الصلاة خلف الأئمة من كانوا، برهم وفاجرهم ، فالسنة بأن يُصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة، لا يَكُن في صدرك من ذلك شك.

٣٣ - ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مات الخارج عليه، مات ميتة جاهلية.

٣٤ - ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق.

٣٥ - وقتال اللصوص والخوارج جائز، إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله، فله أن يُقاتل عن نفسه وماله، ويدفع عنها بكل ما يقدر عليه، وليس له إذا فارقه أو تركوه أن يطلبهم، ولا يتبع آثارهم، ليس لأحد إلا الإمام، أو ولاية المسلمين، إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك، وينوي بجهد أن لا يُقتل أحداً.

فإن أتى على بدنه في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتول، وإن قُتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة كما جاء في الأحاديث.

وجميع الآثار في هذا : إنما أمر بقتاله، ولم يؤمر بقتله، ولا اتباعه، ولا يجهز عليه إن صُرع أو كان جريحاً، وإن أخذه أسيراً فليس له أن يقتله ولا يُقيم عليه الحد، ولكن يرفع أمره إلى من ولّاه الله فيحكم فيه.

٣٦ - ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعملٍ يعملُه بجنةٍ ولا نارٍ، نرجو للصالح ونخافُ عليه، ونخافُ على المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله.

٣٧ - ومن لقي الله بذنبٍ يجب له به النارُ تائباً غير مُصرٍ عليه، فإن الله يتوبُ عليه، ويقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ، ويعفو عن السيئات.

٣٨ - ومن لقيه وقد أُقيم عليه حدٌ ذلك الذنبِ في الدنيا فهو كفارته كما جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣٩ - ومن لقيه مُصراً غير تائبٍ من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة، فأمره إلى الله تعالى، إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له.

٤٠ - ومن لقيه من كافرٍ عذبه ولم يغفر له.

٤١ - والرجمُ حقٌّ على من زنى وقد أُحصن إذا اعترف، أو قامت عليه بينة، وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمت الأئمة الراشدون.

٤٢ - ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أبغضه لحدثٍ كان منه، أو ذكر مساويه : كان مبتدعاً حتى يترحمَ عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً.

٤٣ - والنفاقُ هو الكفر، أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويُظهر الإسلام في العلانية، مثل: المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤٤ - وهذه الأحاديث التي جاءت :

«ثلاثٌ من كُن فيه فهو منافق...».

هذا على التغليظ، نرويه كما جاءت ولا نُفسرُها.

وقوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض».

ومثلُ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».

ومثلُ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

ومثلُ: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما».

ومثلُ: «كفر بالله تبرؤ من نسب وإن دَقَّ».

ونحو هذه الأحاديث مما قد صحَّ و حُفِظ: فإننا نُسَلِّمُ له، وإن لم نعلم تفسيرها، ولا نتكلَّمُ فيه، ولا نُجادِلُ فيه، ولا نُسرِّ هذه الأحاديث إلا بمثل ما جاءت، لا نردُّها إلا بأحقَّ منها.

٤٥ - ومن الإيمان الاعتقاد أن الجنة والنار مخلوقتان، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلتُ الجنة فرأيتُ قصرًا».

و «دخلتُ فرأيتُ فيها الكوثر».

و «اطلعتُ في الجنة فرأيتُ أكثر أهلها كذا، واطلعتُ في النار فرأيتُ أكثر أهلها كذا وكذا».

فمن زعم أنها لم تُخلَقْ، فهو مكذبٌ بالقرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار.

٤٦ - ومن مات من أهل القبلة موحدًا يُصلى عليه، ويستغفرُ له، ولا يُحجِبُ عنه الاستغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنْبٍ أصغراً كان أو كبيراً أمره إلى الله تعالى.

انتهى.

قال ابن القيم رحمه الله :

"الله سبحانه اقتضت حكمته وعدله أن يفسد
على العبد عقله الذي خالف به رسله ولم يجعله
منقادًا لهم مسلمًا لما جاؤوا به" (١).

(١) الصواعق المرسلة ٨٦١/٣

فهرس الموضوعات

٤	مقدمة
٦	محتوى الكتاب:
٨	ترجمة ابن القيم
١٢	ترجمة السبكي
١٣	ترجمة الكوثري
١٥	أطوار الأشعرية
٢٣	فصل في صفات الله عز وجل
٢٤	الحلقة الأولى: منبع الغواية
٢٩	الحلقة الثانية: الصفات السبع
٣٦	الحلقة الثالثة: إرث التعطيل
٤٧	الحلقة الرابعة: تخطيهم في صفة العلو
٦٣	الحلقة الخامسة: تخطيهم في صفة الكلام
٧٤	الحلقة السادسة: مساجلة مع الرجلين فيما عطلاه من صفات الربّ سبحانه ..
١١٠	الحلقة السابعة: تسلسل الحوادث
١١٧	فصل في القدر والحكمة والتعليل
١١٨	الحلقة الثامنة: شيوخ المجبرة كأنهم حمر مستنفرة
١٢٢	الحلقة التاسعة: هل ربنا عزّ وجلّ قادر على الظلم؟!

- الحلقة العاشرة: هل ربنا سبحانه حكيم عندهم؟!..... ١٢٦
- الحلقة الحادية عشر: تناقض المتهوكون في تأثير الأسباب..... ١٣٩
- ذيل..... ١٤٢
- فصل في مسائل الإيمان..... ١٤٣
- الحلقة الثانية عشر: إرجاء جهنم..... ١٤٤
- الحلقة الثالثة عشر: إرجاء جهنم ٢..... ١٤٩
- فصل في مكانة الحديث النبوي وحملته عند الرجلين، ومعرفتهم فيه..... ١٥٢
- الحلقة الرابعة عشر: (الذين جعلوا القرآن عضين)..... ١٥٣
- الحلقة الخامسة عشر: إشكالات حديثة عند الرجلين..... ١٥٩
- باب ما جاء عن السلف في ذم الكلام وأهله..... ١٨٨
- باب ما جاء في الحث على التمسك بالآثار..... ١٩٣
- عقيدة إمام أهل المدينة مالك بن أنس - قدس الله روحه -..... ١٩٧
- عقيدة الإمام الشافعي المطلبي - قدس الله روحه -..... ٢٠٩
- عقيدة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل - قدس الله روحه -..... ٢١١
- فهرس الموضوعات..... ٢٢٠